# ميزان الحق
# في اختيار الأحق

تأليف

## كاتب چلبي

المعروف بـ ( حاجى خليفة )




ترجمه عن التركية العثمانية
وقدم له ، وعلق عليه
د . عبد الرازق بركات

# ميزان الحق في اختيار الأحق


تأليف

كاتب چلبى

المعروف بـ (حاجى خليفه)

١٠١٧ - ١٠٦٧هـ/ ١٦٠٩-١٦٥٧م

ترجمه عن التركية العثمانية، وقدم له، وعلق عليه

د. عبدالرازق بركات

كلية الآداب - جامعة عين شمس




بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق
١٦٥٨٥ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولي 977-5502-91-8

# تقديم

صرفت الشطر الأكبر من حياتى العلمية، مشتغلا بالنقد الأدبى، والدراسات الأدبية المقارنة، بين الأدب التركى والعربى المعاصر. وبعد حصولى على الأستاذية، قلبت النظر في بضاعتى، فوجدها - على أهميتها - بضاعة مزجاة ، سوقها كاسدة، وطلابها نزر يسير. ثم رحت أتأمل خريطة الدراسات التركية في مصر، فرأيت ساحة الأدب التركى تغص بمرتاديها من أهل الاختصاص. تليها ساحة التاريخ التركي العثماني والحديث، روادها من أهل الاختصاص في اللغة التركية، قليل لايتجاوزون أصابع اليدين. لكن تلك الساحة تبدو مكتظة بروادها، إذا أضفنا إليها المشتغلين بالتاريخ الحديث والمعاصر، والعلاقات الدولية في أقسام التاريخ، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية. ثم تأتى بعد ذلك ساحة صغيرة، تهتم بالدراسات اللغوية التركية، وروادها لايتجاوزون أصابع اليد الواحدة.

ثم جلت ببصري بعيداً، فرأيت روضة عظيمة، باسقة الأشجار، وارفة الظلال، طيبة الثمار، لكنها خالية مهجورة، لايرتادها أحد من أهل الاختصاص. تلكم هي ساحة الفكروالحضارة الإسلامية في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية. وهي فترة طويلة أهيل عليها التراب؛ استناداً على مقولة مغلوطة، روجها المستشرقون عن قصد، ورددناها وراءهم عن قصد، أو غير قصد. فأمسى من المألوف المتواتر بين الناس، تسمية تلك الفترة بعصور الظلام والجمود والانحطاط. وخيل لأكثر الناس أن الفكر الإسلامى قد جفت منابعه بعد القرن الثامن الهجرى، وأن عقول المسلمين قد تكلست، وتجمدت،

وعجزت عن مواصلة العطاء منذ ذلك التاريخ. ولاشك أن تعميم الحكم بهذه الصورة، مغالطة بينة يدحضها الواقع؛ ذلك أن عطاء الفكر الإسلامى للحضارة الإنسانية لم يتوقف يوماً، لا في زمن العثمانيين، ولا فى زمننا هذا.

وما كدت أنقل خطوى في تلك الروضة الأنف، حتى وجدتنى أقع على كنوز التراث الإسلامى، وتصانيف قيمة لهامات علمية شامخة، مثل الكورانى، وعلي القوشجى، وقاضي زاده الرومي، والفنارى، وابن كمال باشا، وطاشكبري زاده، وأبي السعود أفندي، ومحمد أفندي البركوى، وتلميذه قاضى زاده، وكاتب چلبى، وعالى افندي، ومستقيم زاده، وعاكف زاده، وساجقلى زاده، والشيخ إسماعيل حقى البروسوى، والشيخ عارف حكمت، والشيخ مصطفى صبرى، وسعيد حليم باشا، وغيرهم كثير.

وجدت أمامي عشرات التصانيف القيمة النادرة، مابين مخطوط ومطبوع، في شتى مجالات الفكر الإسلامي: في العلوم الدينية، والتراجم، والتاريخ، والجغرافيا، وفنون الخط والتذهيب، والموسيقى، والرياضيات، والفلك، والطب، والصيدلة، وعلم النبات، وغيرها من فروع العلم. وإزاء ذلك التراث العظيم المهجور، أيقنت أن مهمة القيام بتحقيق المخطوط منه، ونشره، وترجمته، أو ترجمة المطبوع منه، أمر جليل تقصر دونه الأعمار، ويحتاج إلى فريق من الباحثين الجادين، وإلى أن تتبناه مؤسسة علمية، أو دار نشر كبرى.

وبرغم أن ذلك، يبدو الآن صعبا، وحلما بعيد المنال، فقد توكلت على الله، وعقدت العزم على المضى نحو تلك الغاية النبيلة؛ آملاً أن يكلل سعيى بالنجاح، وأن يكون لي شرف تعبيد طريق في تلك الساحة العظيمة، للقادم من بعدي. فبدأت بترجمة كتاب (Buhranlarımız) للمفكر الإسلامى (سعيد حليم باشا

– ت١٩٢١م) تحت عنوان (لماذا تأخر المسلمون؟) ونشرته مشفوعاً بدراسة عام ٢٠٠٦م. ثم أعقبت ذلك بتحقيق مخطوط (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) لـــ (عاشق چلبى – ت١٥٧١م) ونشرته مع دراسة حوله عام ٢٠٠٧م. واليوم أقدم للمكتبة العربية عملاً متواضعاً جديداً، هو الترجمة العربية لكتاب (ميزان الحق في اختيار الأحق) للعلامة الإسلامي المرموق (كاتب چلبى) المشهور بـــ (حاجى خليفه) مشفوعة بالتقديم والتعليق.

- أ -

وترجع صلتي بكتاب (ميزان الحق) إلى ثلاث سنوات تقريباً، عندما تصفحت إحدى نسخه المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢١– مجاميع تركي. وهي نسخة تـــمت كتـــابتها في الخامس من ذى القعدة سنة ١٢٦٣هـــ. وكنت أعلم أن الكتاب قد طبع في تركيا ثلاث طبعات، الأولى: طبعة علي رضا أفندي، والثانية طبعة علي رضا أفندي الثانية، سنة ١٢٨٦هـــ، والثالثة طبعة (أبو الضيا)، سنة ١٣٠٦هـــ. وبينما كنت أسعى للحصول على أى من تلك الطبعات، وقعت مفارقة مثيرة أثارت فضولى، وطبعت في ذهني علامة استفهام كبيرة حول الكتاب. ذلك أنني وقتئذ، كنت أطالع كتاب (الغارة على العالم الإسلامى) للمستشرق الفرنسى (لو شاتليه)، وهالني ماجاء في هذا الكتاب، عن قيام المبشرين المسيحيين، في القرن التاسع عشر الميلادي، بتوزيع كتاب (ميزان الحق) على المسلمين في مصر؛ لإقناعهم باعتناق المسيحية [1].

---

1 – أ. ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافى، ص٣٠، المطبعة السلفية، ط ٤، ١٣٩٨.

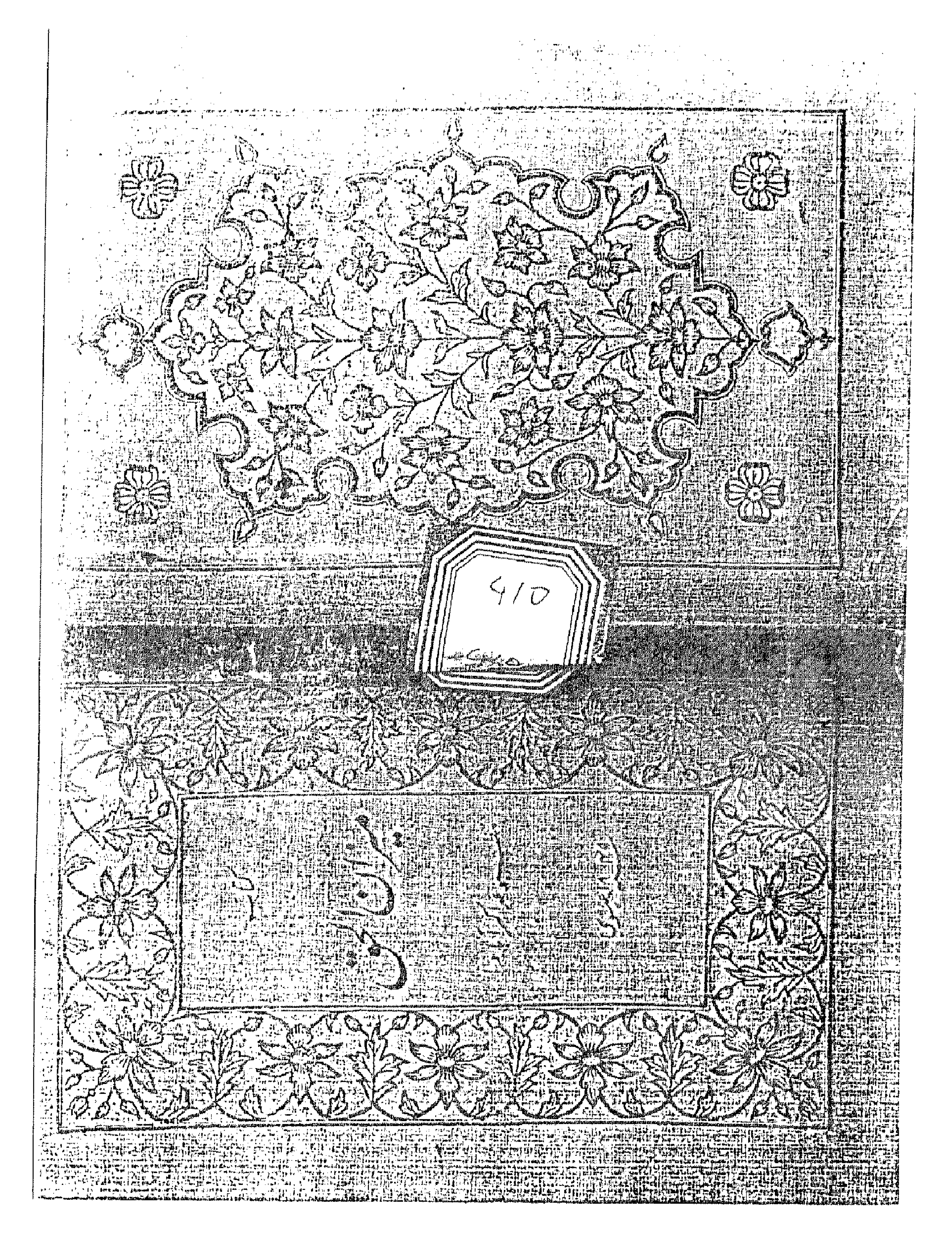
وقد حفزتني تلك المفارقة، على سرعة الانتهاء من قراءة مخطوط (ميزان الحق)؛ حتى تنقشع غيوم الشبهات التي راحت تحوم حول الكتاب. وما كدت أفرغ من قراءة المخطوط، حتى أيقنت أن هذا الكتاب أحد مصادر الفكر الإسلامي القيمة، ومرآة صافية للحياة الدينية، والعلمية، والاجتماعية، في الأمة الإسلامية في القرن السابع عشر الميلادي، ولايمكن أن يستفيد منه المبشرون، في حملاتهم التبشيرية. ولاشك أن المبشرين كان لديهم كتاب آخر، يحمل اسم كتاب كاتب چلبي نفسه.

هنالك بقى عندى سؤالان بلا إجابة، الأول: ماهى حقيقة كتاب (ميزان الحق) الذى كان المبشرون يوزعونه؟ والثانى: كيف يمكن الحصول على نسخة من هذا الكتاب الذي لا أعرف اسم مؤلفه؟

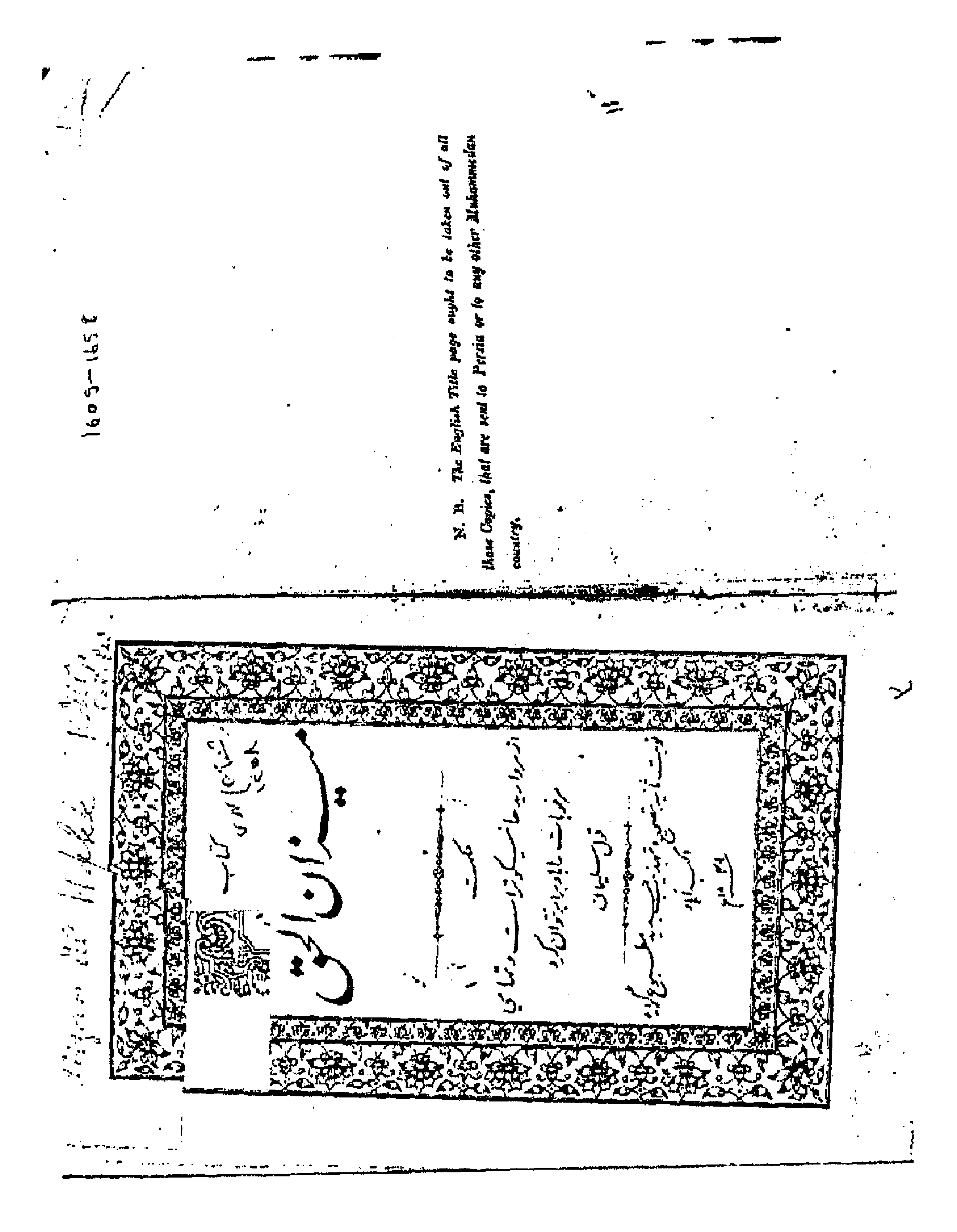
ثم قدّر الله لى اللقاء بصديقى العزيز د. جودت چقمقجى، وطلبت إليه التكرم يامدادى بنسخ كتاب ميزان الحق المطبوعة فى تركيا. وكان الرجل كريماً كعهدى به، فجاءنى وقدم لى ثلاث نسخ مصورة للكتاب، الأولى: نسخة من طبعة على رضا أفندي الثانية، سنة ١٢٨٦هـ، والثانية: نسخة من طبعة أبي الضيا، سنة ١٣٠٦هـ، والثالثة: حسبتها للوهلة الأولى نسخة من الطبعة الأولى لعلى رضا أفندي. وماكدت أرجع البصر فى الورقات الثلاث الأولى منها، حتى اكتشفت أنها نسخة من مخطوط كتاب ميزان الحق، الذى ذكره المستشرق الفرنسي شاتليه. وهو مخطوط مكتوب بالفارسية، يقع فى ٣٣٤ صفحة، منسوخ للمرة الثالثة فى أكبر آباد بالهند، سنة ١٨٤٩م، ألفه مبشر مسيحى يدعى (بفندر- REV. C. G. PFANDER) سنة ١٨٣٣م. واتضح لي من الغلاف الداخلى للمخطوط، أن الأتراك يتوهمون أن الكتاب نسخة

مخطوطة لكتاب ميزان الحق لكاتب چلبي، كما يظهر من السطر المكتوب بخط اليد، بالتركية الحديثة، فى أعلى الصفحة. ولعل ذلك مظهر للأزمة الفكرية العنيفة التى تعيشها تركيا، بعد الانقلاب اللغوي، سنة ١٩٢٨م، ومانجم عنه من عزل الأتراك عن تراثهم وحضارتهم.

يتألف الكتاب من مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة بها حكايات عمن اعتنق المسيحية من اليهود والمسلمين. أما الباب الأول، فهو بعنوان "فى إثبات أن الإنجيل والعهد القديم غير منسوخين"، وفيه ثلاثة فصول. وأما الباب الثانى، فهو بعنوان "فى بيان تعليمات الإنجيل والعهد القديم"، وفيه سبعة فصول. وأما الباب الثالث، فهو بعنوان "فى بيان كيفية أحوال محمد"، وفيه خمسة فصول. وهذا الباب، هو أخطر مافى الكتاب؛ لأنه مليء بالمغالطة والتدليس، والافتراء على القرآن بأنه أمشاج من التوراة والإنجيل، وغير ذلك من الأباطيل التى مافتأ المبشرون الحاقدون على الإسلام يرددونها.



صورة ورقة الغلاف الخارجي للمخطوط




صورة ورقة الغلاف الداخلي للمخطوط

وبها عنوان آخر للكتاب باللغة الإنجليزية، ترجمته كالآتي:

ميزان الحق

رسالة في المناظرة بين المسيحية والمحمدية

صورة للورقة الثالثة من المخطوط، مكتوب عليها بالإنجليزية

"يجب نزع الغلاف المكتوب بالإنجليزية عند تصوير النسخ التى ترسل إلى إيران وباقى الدول الإسلامية"

ويتضح من السطر المكتوب بخط اليد، أعلى الورقة، بالتركية الحديثة، أن الأتراك يتوهمون أنه نسخة من كتاب ميزان الحق لكاتب چلبى

ولاشك أن (كاتب چلبی)[2] المعروف بـ (حاجی خليفه)[3] هو من خير ما أنجبت العقلية التركية فی تاريخها؛ فهو عالم موسوعي الثقافة، صاحب عقلية منظمة مبدعة، ورؤية نقدية عميقة لقضايا أمته السياسية والفكرية والاجتماعية والدينية، مشهود له بالقيمة العلمية الكبيرة من علماء الشرق والغرب على السواء.

ونسوق فی هذا الصدد، طرفاً مما قاله عنه بعض العلماء. فهذا (محمد طاهر البروسوی) يقول عنه: "هو أول داعية عثمانی للانفتاح على المدنية الغربية. وهو أول عالم عثمانی يجمع بين العلوم الشرقية والغربية فی زمانه. وهو بما تركه من مؤلفات قيمة، يعتبر بحق، من أفضل علماء الترك الذين مهدوا السبيل للنهضة والتقدم."[4]

ويعتبره (نيازی بركس) أكبر عالم فی التاريخ العثمانی، كما أن مؤلفاته التی تركها، جعلت له شهرة واسعة فی المحافل العلمية، فی الشرق والغرب على السواء.[5]

كما تبنى المؤرخان (أنور ضيا قرال) و(أحمد يشار اوجاق) رؤيته النقدية للحياة العلمية العثمانية فی القرن السابع عشر الميلادی، وأورداها بلفظها، فی سياق حديثهما عن تدهور الحياة العلمية العثمانية، فی تلك الفترة، وكررا

---

2 – كاتب: لقب أطلق عليه لبراعته فی فنون الخط، وچلبی كلمة لها عدة معان فی التركية العثمانية، منها: ١- السيد أو المولى ٢- لقب يطلق على من يعرف القراءة والكتابة ٣- لقب أطلق على أمراء العثمانيين فی إحدى الفترات ٤- صفة بمعنى الفاضل أو الخلوق.

3 – حاجی لقب يطلق عند الأتراك على كل من أدى فريضة الحج، وخليفه هو مسمى الوظيفة التی كان يشغلها فی الجيش.

4 – بروسه لی محمد طاهر: عثمانلی مؤلفلری، ج٣، المطبعة العامرة، استانبول، ١٣٤٢هـ.

5- Niyazi Berkes: Türkiye'de çağdaşlaşma, s. 53. Doğu Batı Yayınları. İst.

ما ذهب إليه فى تلك المسألة من أن السبب في ذلك هو اهتمام العثمانيين — وقتئذ — بالعلوم الشرعية فقط، وإهمالهم تدريس الفلسفة — أى العلوم العقلية — التى كانت تدرس فى مدارس الصحن الثمانى، منذ عهد محمد الفاتح. وبرهن كاتب چلبى على أهمية العلوم العقلية، بالأحكام الخاطئة التى يصدرها القضاة وأهل الفتوى؛ نتيجة الجهل بتلك العلوم. [٦]

وقالت عنه دائرة المعارف الإسلامية الإنجليزية "إنه أكبر عالم أنجبته الدولة العثمانية، له مؤلفات قيمة، وكان يجيد العربية والفارسية والفرنسية واللاتينية." [٧]

لقد امتاز الرجل ممن سبقوه أو عاصروه من علماء الدولة العثمانية، بأنه أول من مد بصره ناحية الغرب، وعقد مقارنة بين أوربا الناهضة، وأمته الواهنة، فراح يتعلم اللاتينية والفرنسية، وراح يدرس تاريخ أوربا، وألف فى ذلك كتاباً يعتبر باكورة علم الاستغراب. ولعل دعوته فى مقدمة ميزان الحق، إلى ضرورة العودة إلى تدريس العلوم العقلية، والاهتمام بها، كانت إنذاراً مبكراً للمسلمين، لم يفطن الناس إليه.

ولاشك أن ترجمة معظم مؤلفات كاتب چلبى إلى أشهر اللغات الأوربية، مثل اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، تنهض دليلاً على القيمة العلمية التى يمثلها الرجل. والمؤسف أن الغرب يقدر قيمة الرجل العلمية، ويبادر بترجمة كتبه منذ القرن التاسع عشر الميلادى، ومازال الأتراك

---

6- Prof. Dr. Enver Ziya Karal:Osmanlı Tarihi. V1. s. 141. TTK. Ankara. 1988

– وانظر أيضا:

– د. احمد يشار اوجاق: الحياة الفكرية(العثمانية) من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، ص ص ٢٣٦– ٢٤٣، ضمن كتاب (الدولة العثمانية – تاريخ وحضارة) ترجمة: د. صالح سعداوى، ج٢، استانبول، ١٩٩٩..

7- Encyclopaedia of Islam, 1V, p. p. 760 -762, LEIDEN, E. J. BRILL, 1990.

لم يترجموا له حرفاً من مؤلفاته العربية، حتى الآن !!

ومن اللافت للنظر، أن آخر ماكتبه كاتب چلبى، هو ترجمة حياته، ووصيته التى كتبها فى نهاية كتاب ميزان الحق، وهو آخر كتاب له. ويمكن تلخيص سيرته الذاتية، فى النقاط الآتية:

- هو مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجى خليفه، المعروف بين العلماء بكاتب چلبى.
- ولد سنة ١٠١٧هـ/١٦٠٩م، فى مدينة استانبول.
- فى سنة ١٠٣٢هـ، ألحقه والده معه بالخدمة بالجيش، بقلم محاسبة الأناضول.
- فى سنة ١٠٣٣هـ، خرج مع الجيش فى الحملة على ترجان.
- فى سنة ١٠٣٥هـ، خرج مع الجيش فى الحملة على بغداد. وفى تلك الفترة، أدى فريضة الحج؛ ولهذا أطلق عليه (حاجى خليفه).
- عين بعد عودته بقلم السوارى، وتعلم به كل فنون الخط، وبرع فيها؛ ولهذا أطلق عليه (كاتب چلبى).
- شارك مع الجيش فى حصار أرضروم، سنة ١٠٣٦/١٠٣٧هـ، ورجع إلى استانبول سنة ١٠٣٨هـ.
- اتفق له أن حضر مجلس علم بجامع الفاتح، للعلامة قاضى زاده، فأعجب بفصاحته كثيراً، وانجذب إلى تحصيل العلم، وكان ذلك اللقاء نقطة تحول فى حياته. عندها صار تلميذاً لذلك الشيخ، وأخذ عنه العلوم الشرعية واللغوية.
- ثم انقطع - بحكم عمله - فترة، خرج فيها مع الجيش فى حملة همدان وبغداد سنة ١٠٣٩هـ، ثم عاد إلى استانبول سنة ١٠٤١هـ.
- داوم بعد ذلك على ملازمة أستاذه، وقرأ عليه التفسير، وإحياء علوم الدين، والمواقف، والدرر، وغيرها من أمهات الكتب الشرعية.

- تحول بعد ذلك عن أستاذه للأسباب الآتية :

أ- إنكار أستاذه للعلوم العقلية، وتشبثه بالمنقول فقط.

ب- تعصب أستاذه الشديد، ودخوله فى جدل عقيم مع المتصوفة.

ج- رغبته فى توسيع مداركه، وميله الفطرى إلى الوسطية والاعتدال، من غير إفراط ولا تفريط.

- وفى سنة ١٠٤٤هـ، خرج مع الجيش فى حملة روان، ورجع سنة ١٠٤٥هـ، وهو عازم بنية صادقة على تصحيح وجهته، والتفرغ التام لطلب العلم.

- كان أول ما قام به بعد عودته، هو البدء فى تأليف كتابه الموسوعى (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون).

- استفاد من ثروة كبيرة ورثها، فى طلب العلم، وشراء الكتب، والاستغناء عن الوظائف.

- صحب بعد ذلك الشيخ مصطفى الأعرج، ووجد فيه مثلاً يحتذى فى الجمع بين المنقول والمعقول.

- ثم صحب بعد ذلك الشيخ عبدالله أفندي الكردي، والشيخ محمد أفندي كچى، والشيخ ولي الدين أفندي، وقرأ عليهم المنطق، وعلم المعاني والبيان.

- تفرغ بعد ذلك لدراسة الجغرافيا، والفلك، والرياضيات.

- اتجه لدراسة الطب على إثر وعكة صحية، ألمت به.

- أنفق باقي عمره بعد اعتزاله الخدمة العسكرية، عاكفاً على القراءة، والمباحثة مع العلماء ولقاء تلاميذه، والتأليف.

- توفي فجأة دون مرض، سنة ١٠٦٧هـ، وهو فى الثامنة والأربعين تقريباً.

- من تلاميذه: ابنه فخر الدين محمد چلبي المتوفى سنة ١١٤٠هـ تقريباً، والعلامة محيي الدين البروسوى المتوفى سنة ١١٣٠هـ، والمولى محمد نعيم الشاعر المتوفى سنة ١١٢٥هـ.[٨]

وقد بدأت تركيا مؤخراً، وبالتحديد سنة ٢٠٠٧م، الاهتمام بكاتب چلبي، فنظمت بلدية استانبول مؤتمراً عالمياً، في ١٩-٢٠/١٠/٢٠٠٧م بمناسبة الذكرى الثلاثمائة والخمسين لوفاته. ولعل ذلك يكون بداية لإعادة قراءة الفكر الإسلامي بعامة، وفكر كاتب چلبي بخاصة. فقد آن الأوان أن يراجع الأتراك موقفهم من تراثهم، وأن يدركوا أن إعراضهم عن تراثهم، موقف شديد الخطورة على حاضرهم ومستقبلهم. فلاشك استمرار تركيا في القطيعة مع تراثها، يعني التمادي في ارتكاب جناية حضارية كبيرة.

---

8 - للوقوف على مزيد من التفاصيل عن حياة كاتب چلبي، انظر:

- اسماعيل باشا البغدادى :هدية العارفين - أسماء المؤلفين والمصنفين، ج٢، ص٤٤٠-٤٤١، وكالة المعارف الجليلة، استانبول١٩٥١.

- كاتب چلبي : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مقدمة آية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفى المرعشى، نشر وتحقيق : محمد شرف يالتقايا، ورفعت بيلگه الكليسى، ط٣، ١٩٤٧.

- دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) مادة "كاتب چلبي" بقلم مورتمان، ج٧، ص ص ٢٣٥-٢٣٩، دار المعرفة، بيروت.

- الموسوعة العربية، ج٧، ص ٨٨٧، ط١، دمشق، ٢٠٠٣.

- بروسه لى محمد طاهر: عثمانلى مؤلفلرى، ج٣، ص ص١٢٤-١٣١، المطبعة العامرة، استانبول، ١٣٤٢هـ

- Türk İslam Ensklöpedisi. C. 6. S. 432-438. Milli Eğitim Basımevi. ist. 1977.

- Orhan Şaik Gökyay: Katip Çelebi, Hayatı, Şahsiyatı, Eserleri, İş Bankası.

- Orhan Şaik Gökyay: Katip Çelebi, HayatıVe Eserleri Hakkında İncelemeler,TTK - Ankara,1957.

- Orhan Şaik Gökyay: İslamda Tenkid Ve Tartışma Usulu, Mizan"lHak Fi İhtiyar"l - Ehak, Marifet Yayınları, ist. 2. B. 2001.

- Encyclopaedie Of Islam, 1V, New Edittion, LEIDEN, E. J. BRILL, 1990, p. 760-672.

- Encyclopedie de L'Islam, le tome, 1V, 1978, S. V., p. 791-792.

أما عن مؤلفات كاتب چلبي، فهي كما أوردها "محمد طاهر البروسوى" [٩] عشرون كتاباً، على النحو الآتي:

١- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.** وهو أول كتبه، وأشهرها، أنفق عشرين عاماً فى جمعه وتأليفه. وهو كتاب بيلوجرافى موسوعي، عربي العبارة، مرتب على حروف الهجاء، ذكر فيه ٩٥١٢ مؤلفاً وشارحاً، و١٤٥٠١ من أسماء الكتب والرسائل والشروح والحواشي، فى ثلاثمائة علم وفن. وقد قام المستشرق الألمانى "فلوجل" بترجمة الكتاب إلى اللاتينية، وطبعه فى ليبزج فيما بين سنتي ١٨٣٥-١٨٥٥م. كما تُرجم الكتاب إلى الإنجليزية والألمانية.

ومن العجيب أن هذا الكتاب – على قيمته وشهرته – لم يترجم حتى الآن إلى اللغة التركية! وهذا مايأسف له الصحفى التركى المعاصر "كامل أشفق بركي – Kamil eşfak Berki"، الذي كتب فى صحيفة (Milli gazete) ما معناه: "نريد أن نقرأ الأعمال الكاملة لكاتب چلبي. ياله من أمر مؤسف أن لا توجد دار نشر تركية تطبع أعماله الآن، مع أن إبراهيم متفرقه، عندما أدخل المطبعة إلى تركيا، بدأ بنشر كتب كاتب چلبي !! نحن اليوم لا نجد كتب هذا العالم فى أرفف المكتبات، لا بالأبجدية العربية، ولا بالأبجدية اللاتينية التى نكتب بها بعد الانقلاب اللغوى، سنة ١٩٢٨م. وكأن الانقلاب اللغوى، دفن"كاتب چلبي"، ودفن معه تراث الحضارة الإسلامية!!.. لماذا نظل محرومين من تراثنا، ومن ثروتنا؟ لماذا يحال بيننا وبين القراءة؟" [١٠]

---

٩- بروسه لى محمد طاهر: عثمانلى مؤلفلرى، ج٣، ص ١٢٤-١٣١.

10- Milli Gazete. 24-9-2007.

ولهذا الكتاب ذيول كثيرة، منها:

١- أسماء الكتب، تأليف: عبداللطيف بن محمد الشهير برياضى زاده الرومى، الحنفى، المتوفى سنة ١٠٧٨هـ.

٢- التذكار الجامع للآثار، تأليف حسين العباسى النبهانى الحلبى، المتوفى سنة ١٠٩٦هـ، وهو نسخة مخطوطة فى"يكى جامع" باستانبول.

٣- ذيل كشف الظنون، للمولى محمد عزت أفندي، المعروف بـ (وشنه زاده) الإسلامبولى، المتوفى سنة ١٠٩٢هـ، ولايزال مسودة.

٤- ذيل عربه جيلر شيخى إبراهيم أفندي، المتوفى سنة ١١٧٩هـ.

٥- آثار نو، لمؤلفه حنيف زاده أحمد طاهر أفندي، المتوفي سنة ١٢١٧هـ.

٦- ذيل شيخ الإسلام عارف حكمت، المتوفى سنة ١٢٧٥هـ، وصل فيه إلى حرف الجيم، ولايزال نسخة مخطوطة.

٧- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، للعلامة إسماعيل باشا البغدادي، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ، وهو يحتوي على مايقرب من ١٨٠٠٠ كتاب.

٨- ذيل إسماعيل صائب سنجر، لم يتم، ولاتزال نسخته مخطوطة.

وقد طبع كشف الظنون طبعات عديدة، منها:

١- طبعة بولاق ١٢٧٤هـ.

٢- طبعة استانبول ١٣١٣هـ.

٣- طبعة استانبول ١٣٢٠هـ.

٤- طبعة استانبول فيما بين سنتى ١٩٤٥-١٩٤٧م، ومعه إيضاح المكنون، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي.

٥- طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.

٦- طبعة وقف التاريخ، استانبول، (٥ مجلدات)، اكتوبر ٢٠٠٧م.

٢- **تقويم التواريخ.** ألفه سنة ١٠٥٣هـ، وحصل به على رتبة الخلافة الثانية. وقد نشره ابراهيم متفرقه سنة ١١٤٦هـ. وذيله شيخى محمد، من سنة ١٠٥٩حتى سنة ١١٤٤هـ. وقام المستشرق الإيطالي "رونالدو قارلى" بترجمته إلى الإيطالية، ونشره سنة ١٦٩٨م. ثم ذيله على سعاوى، من سنة ١١٤٧حتى سنة ١٢٢٧هـ، وطبعه فى باريس سنة ١٢٩١هـ.

٣- **تحفة الكبار فى أسفار البحار.** وهو كتاب فى البحرية العثمانية، نشره ابراهيم متفرقه، سنة ١١٤١هـ. وترجم إلى اللغة الإنجليزية، وطبع فى استانبول طبعة ثانية سنة ١٩١٣م. وأعاد نشره اورخان شائق گوكياى- Orhan Şaık Gökyay، فى ديسمبر سنة ٢٠٠٧م.

٤- **جهاننما.** وهو كتاب فى الجغرافيا، ألفه سنة ١٠٥٨هـ، ونشره ابراهيم متفرقه سنة ١١٤٥هـ، فى ٦٤٨صفحة، مع مقدمة للكتاب قال فيها:"إنه كتاب نفيس وفريد فى بابه" وبالكتاب خرائط نادرة، وقد ترجمه "هامر" إلى الألمانية، ونشره فى فيينا سنة ١٨١٢م.

٥- **سلم الوصول إلى طبقات الفحول.** وهو كتاب قيم فى مجلدين، مكتوب باللغة العربية، ومنه نسخة وحيدة بخط المؤلف لم تنشر حتى الآن.

٦- **رجم الرجيم بالسين والجيم.** وهو رسالة جامعة لمسائل غريبة، وفتاوى عجيبة، لاتزال مخطوطة حتى الآن.

٧- **دستور العمل فى إصلاح الخلل.** وهو رسالة فى الفكر السياسى يعالج فيها مواطن الخلل فى الدولة العثمانية، ويقترح لها الحلول.

٨- **الإلهام المقدس من الفيض الأقدس**. وهو رسالة فى بعض المسائل الفقهية الدقيقة، لاتزال مخطوطة حتى الآن.

٩- **لوامع النور فى ترجمة أطلس مينور**. وقد ترجمه عن اللاتينية بالاشتراك مع الشيخ محمد إخلاصى، وهو راهب فرنسى اعتنق الإسلام. وهو كتاب فى الجغرافيا لايزال مخطوطاً حتى الآن.

١٠- **تحفة الأخيار فى الحكم والأمثال والأشعار**. وهو كتاب فى الأدب، مكتوب باللغة العربية، ولايزال مخطوطاً حتى الآن.

١١- **جامع المتون**. وهو يحوى ثلاثين متناً، ولايزال مخطوطاً حتى الآن.

١٢- **فذلكة أقوال الأخيار فى علم التاريخ والأخبار**. وهو كتاب فى التاريخ العام، مكتوب باللغة العربية، ولايزال مخطوطاً حتى الآن.

١٣- **فذلكه**. وهو كتاب تاريخى، يؤرخ للدولة العثمانية من سنة ١٠٠٠ حتى سنة ١٠٦٥هـ. وهو مطبوع فى مجلدين.

١٤- **شرح محمدية**. وهو شرح لمحمدية على القوشجى، فى علم الحساب، التى قدمها للسلطان محمد الفاتح، حين قدم عليه.

١٥- **ترجمه تاريخ فرنگى**. وهو ترجمة عن الفرنسية لتاريخ ملوك أوربا، نشره شناسى سنة ١٢٨١هـ.

١٦- **نگارستان غفارى لطائفنك اختصارى**.

١٨- **بحريه**. وهو كتاب فى البحرية العثمانية، غير تحفة الكبار.

١٩- **رونق السلطنة**. وهو فى تاريخ القسطنطينية.

٢٠- **ميزان الحق فى اختيار الأحق**. وهو آخر ماكتبه كاتب چلبى،

وتوفى بعد فراغه من تأليفه سنة ١٠٦٧هـ.

ويتحفظ محمد طاهر البروسوى، فى صحة نسبة كتاب (تكملة ابن خلدون) لكاتب چلبى، وهو نسخة مخطوطة محفوظة فى مكتبة "مراد منلا" تحت رقم ١٤٢٩. كما يضيف اورخان شائق گوكياى، وهو باحث تركى معاصر متخصص فى كاتب چلبى، كتابين آخرين له، هما:

– مجمع الغريب، وهو كتاب باللغة العربية.

– قانوننامه تشريفات. [11]

- د -

ويمثل كتاب (ميزان الحق) قيمة خاصة بين كتب كاتب چلبى؛ فهو مرآة للحياة العلمية والدينية والاجتماعية فى الدولة العثمانية، أو بالأحرى فى الأمة الإسلامية، فى القرن السابع عشر الميلادى. كما أنه يرصد بعين ناقدة أهم القضايا الخلافية التى شغلت المسلمين، وقتئذ، وكانت سبباً فى اختلافهم، وإثارة العصبية والفتنة بينهم.

وقد أحصاها كاتب چلبى فى إحدى وعشرين قضية، مابين فقهية، وكلامية، ومذهبية بين الفقهاء والمتصوفة، واجتماعية ترصد بعض العوائد والظواهر الاجتماعية التى راجت بين الناس، وجدلية داخل المذهب الواحد، بين تيارين أحدهما ترعاه السلطة، والآخر سلفى راديكالى.

والذى يرفع من قدر ذلك الكتاب، هو تلك النزعة النقدية لواقع الأمة الإسلامية؛ فهو ناقوس خطر ينبه المسلمين إلى ضرورة إعادة النظر فى واقع أمرهم، ويدعوهم إلى ضرورة الأخذ بهذين الأمرين الجوهريين:

11- Encyclopaedia of Islam, IV. p. 762. -

١- ضرورة نبذ التعصب، والتحلى بالوسطية والاعتدال؛ حتى تتوحد كلمة المسلمين، ويسددوا، ويقاربوا، ويصلحوا ذات بينهم.

٢- ضرورة إعادة الاهتمام بالعلوم العقلية، كما كان شأن الأمة الإسلامية فى عصور مجدها الأولى. فقد لاحظ الرجل انصراف المسلمين فى القرن السابع عشر الميلادى، عن العلوم العقلية، وانغماسهم فى العلوم الشرعية، وبخاصة فى الشروح والحواشى والتعليقات. ولاحظ سخرية العلماء من العلوم العقلية، وتنفيرهم الطلاب منها. من هنا كانت دعوته إلى ضرورة الجمع بين العلوم النقلية، والعلوم العقلية. ولعل اتصاله بالثقافة الغربية، ووقوفه على مايجرى فى اوربا الناهضة وقتئذ، كان أحد الأسباب التى دفعته إلى توجيه تلك الدعوة.

واللافت للنظر أن تأثير مقدمة ابن خلدون "ت. ٨٠٨هـ" واضح فى ثنايا كتاب ميزان الحق، فى مواضع كثيرة، نشير إلى أهمها فى إيجاز، على النحو الآتى:

١- يكاد يكون حديث كاتب چلبى عن تقسيم العلوم إلى نقلية وعقلية، ومايتفرع عن كل فرع من الفرعين، إلى فروع كثيرة، ترجمة تلخيصية لما جاء فى مقدمة ابن خلدون فى هذا الموضوع، مع إضافات يسيرة. ويكفى أن نقرأ كلام كاتب چلبى فى مقدمة ميزان الحق، فى سياق هذه الفقرات المختارة من مقدمة ابن خلدون :

يقول ابن خلدون عن العلوم النقلية: "وهى كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعى، ولامجال فيها للعقل، إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها للأصول؛ لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لاتندرج تحت النقل الكلى، بمجرد

وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي.. وهذه العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب والسنة.. ثم يستتبع ذلك اللسان العربى.. فلابد من النظر فى الكتاب ببيان ألفاظه أولاً، وهذا هو علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته على النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء، وهذا هو علم القراءات. ثم بإسناد السنة إلى صاحبها، والكلام فى الرواة والناقلين، وهذا هو علم الحديث. ثم لابد من استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانونى، وهذا هو علم أصول الفقه. وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة الأحكام، وهذا هو الفقه. ثم إن التكاليف منها ما هو بدنى، وما هو قلبى.. وهذه هى العقائد.. والحجاج عن هذا بالأدلة العقلية، هو علم الكلام. ثم إن النظر فى القرآن والحديث، لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية، وهى أصناف: فمنها علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب. [١٢]

ويقول عن العلوم العقلية: "هى علوم الفلسفة والحكمة، وهى مشتملة على أربعة علوم: الأول هو علم المنطق، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة. وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر؛ ليقف على تحقيق الحق فى الكائنات نفياً وثبوتاً.. ثم النظر إما فى المحسوسات من الأجسام العنصرية، والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان، والأجسام الفلكية، والحركات الطبيعية.. أو النفس التى تنبعث عنها الحركات، وغير ذلك. ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي، وهو العلم الثانى منها. وإما أن يكون النظر فى الأمور التى وراء الطبيعة من

---

12- عبدالرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص ٥٧-٥٨، دار الكتاب المصرى، ودار الكتاب اللبنانى، ١٩٩٩.

الروحانيات، ويسمونه العلم الإلهي، وهو العلم الثالث منها. والعلم الرابع هو الناظر فى المقادير، ويشتمل على أربعة علوم، أولها علم الهندسة، وثانيها علم الارتماطيقى، وهو معرفة مايعرض للكم المنفصل الذى هو العدد.. وثالثها علم الموسيقى، ورابعها علم الهيئة.. "[١٣]

ولعل ماسبق من كلام ابن خلدون، يفسر لنا ماكان يعنيه كاتب چلبى من كلمة "الفلسفة" فى سياق حديثه عن ضرورة العودة إلى تدريس الفلسفة، أى العلوم العقلية. فمن الواضح أن الفلسفة وقتئذ، كانت الأم الرءوم التى تضم العلوم العقلية والحكمية.

٢- أشاد كاتب چلبى بعلم الهندسة والحساب والفلك، وأكد فى مقدمة كتاب ميزان الحق، على أهميتها، حتى للقضاة وأهل الفتوى والمفسرين، وأعطى عدة أمثلة تبرهن على صحة كلامه. وهو فى ذلك يلتقى مع ماقاله ابن خلدون عن أهمية علم الهندسة: "اعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة فى عقله، واستقامة فى فكره؛ لأن براهينها كلها بينة الانتظام، جلية الترتيب.. وقد زعموا أنه كان مكتوباً على باب أفلاطون"من لم يكن مهندساً فلا يدخلن منزلنا". وكان شيوخنا رحمهم الله، يقولون"ممارسة الهندسة للفكر، بمثابة الصابون للثوب، الذى يغسل منه الأقذار، وينقيه من الأوضار". [١٤]

٣- أكد كاتب چلبى فى تفسير الرؤيا التى رآها ليلة شروعه فى تأليف كتاب ميزان الحق، على ضرورة الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، وشبههما بجناحي الطائر الذى لايطير إلا بهما معاً. وهو فى هذا يلتقى مع ابن خلدون، الذى

13 – ابن خلدون: نفسه، ص ص ٨٨٨-٨٩٠.

14 – ابن خلدون : نفسه، ص ٩٠٢-٩٠٣.

أكد على ذلك فقال: "فليكن الناظر فى العلوم الفلسفية متحرزاً جهده من معاطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء مس الشرعيات، والاطلاع على التفسير والفقه، ولايكبن أحد عليها وهو خلو من علوم الملة.."[١٥].

٤- كرر كاتب چلبى فى كثير من مباحث كتابه، تأكيده على أن العادة طبيعة وجبلة، وأن تغييرها بالقوة أمر لا جدوى منه، والأولى تركها للزمان الذى يحكم عليها بالزوال، بمقتضى اختلاف الأجيال. وهذا واضح من حديثه عن عادة التدخين، وشرب القهوة، والرشوة، وغيرها. وهو فى هذا يتفق مع رأى ابن خلدون، ويستخدم عبارته بكثير من ألفاظها. يقول ابن خلدون:".. إن الإنسان ابن عوائده، ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه. فالذى ألفه فى الأحوال حتى صار خلقاً وملة وعادة، يترل مترلة الطبيعة والجبلة.. واعتبر ذلك فى الآدميين تجده كثيراً صحيحاً.. واعلم أن اختلاف الأجيال فى أحوالهم، إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش.. "[١٦].

٥- كما يتفق كاتب چلبى مع ابن خلدون فى ذم التعصب، والدعوة إلى نبذ الجدل العقيم بين الفقهاء والمتصوفة. فقد دعا كاتب چلبى إلى ذلك فى مواضع كثيرة، منها ماجاء فى مبحث ابن عربى، ومبحث السيواسى وقاضى زاده. وقد أكده ابن خلدون أيضا فى قوله:"ينبغى أن لانتعرض لكلامهم – يعنى المتصوفة – ونتركه فيما تركناه من المتشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة، فأكرم بها سعادة. وأما الألفاظ الموهمة التى يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع،

---

15 – ابن خلدون : نفسه، ص ١٠٠١-١٠٠٢.

16 – ابن خلدون : نفسه، ص ص ٢١٠-٢١٩.

فاعلم أن الإنصاف فى شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لايقصدونه، وصاحب الغيبة غير مخاطب، والمجبور معذور.."[١٧] والشواهد على تأثير ابن خلدون، فى ميزان الحق لكاتب چلبى كثيرة، نكتفى منها بهذا القدر؛ مخافة الإطالة.

ولاريب أن كتاب ميزان الحق ، قد ترك تأثيراً كبيراً فى كثير من علماء الترك الذين جاءوا بعده، وندلل على ذلك بمثال واضح ، هو العلامة محمد بن أبي بكر المرعشلى، الشهير بـــ "ساجقلى زاده" المتوفى سنة ١١٤٥هـــ، فى كتاب "ترتيب العلوم"؛ حيث اقتبس من ميزان الحق، كثيراً من أفكاره، وأمثلته التى ضربها فى أهمية علم الهندسة والحساب للقضاة ورجال الفتوى والمفسرين.[١٨]

وختاماً فإني أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يتقبل مني صالح عملي، ويغفر لي تقصيري، ويهديني لأقرب من هذا رشداً، إنه سميع مجيب.

أ. د. عبد الرازق بركات

---

17 – ابن خلدون : نفسه، ٨٨٠ت٨٨١.

18 – ساجقلى زاده: ترتيب العلوم، درسه وحققه: محمد إسماعيل السيد أحمد، ص ٦٥، وهو فى الأصل رسالة للماجستير من جامعة الملك عبدالعزيز فى جدة. ونشرته دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨.

# الترجمة العربية لكتاب ميزان الحق

الحمد لله الذى جعل العقل حجة فى خلقه، وأيد الشرع به فيما يفرق بين الباطل وحقه. والصلاة والسلام على المبعوث بالنقل المعجز الفاصل، والعقل الكامل، وعلى آله وصحبه، مادامت المباحث فى محافل الأفاضل. وبعد ، فإنه من الثابت لدى أهل العلم، منذ فطر الله الأنام، أن العقل والنقل توءمان، والمعقول والمنقول فرسا رهان. والذى عليه الجمهور، أن المعقول فى أودية البحث والنظر، هو مسلك وبرهان، وسلم إلى معارج اليقين، وهو المرجع فى كل الأمور.

لكن بعض الناس، أغواهم الوسواس الخناس، فطرحوا طريق البرهان، وعارضوه بالوهميات والظنيات؛ لجهلهم وحماقتهم. لقد ابتلوا بالجدال والتعصب المقيت فى بعض المسائل، ولجوا – من حمقهم – في جدال يفضى إلى الاقتتال، وإشعال حروب التعصب، كتلك التى كانت فى السلف الأول.

وبناء على ذلك، حررتُ تلك الأسطر المعدودة؛ حتى أبين طريق البرهان فى تلك المسائل المطروحة، وسميتها (ميزان الحق فى اختيار الأحق)؛ ليعلم الناس، ماهو سبب الجدال والنزاع، وليثيبوا من أودية الحماقة، وليقلعوا عن الغوغائية العقيمة.

وقد أقمت ذلك المختصر، على مقدمة، وعدة مباحث. أما المقدمة، فجعلتها فى بيان أهمية العلوم العقلية؛ ذلك أنه من المعلوم لطلاب الحق، أن ما كان من العلم غير مادى، لايدركه علم البشر، سواء فى الموجود أو المعدوم، يطلق عليه

(العلم الإلهى)، وهو علم فروعه كثيرة، والمشتغل به حكيم[19] أو متكلم. وما كان منه محتاجاً إلى مادة غير المادة الموجودة فى الذهن، يطلق عليه (العلم الرياضى)، وله أربعة أصول، هى العدد والهيئة والهندسة والموسيقى، ولكل أصل منها فروع كثيرة. فإن كان محتاجاً إلى مادة مطلقة، سواء فى الخارج أو فى الذهن، يطلق عليه (العلم الطبيعى)، وهو علم فروعه كثيرة. ولاتخرج جملة العلوم العقلية والنظرية عن تلك الأقسام.

وأما البحث فى تلك العلوم، بطريق النظر والفكر، وقانون الاستدلال؛ لعصمة الفكر من الخطأ، فإنهم أطلقوا عليه (علم المنطق) أو علم الميزان. وقد قال ميزان العلوم ومعيارها "السيد الشريف الجرجانى" [20] : "لا اعتبار ولا اعتداد بعلم عالم، لا وزن لعلمه ولا معيار" وذلك ماقطع بوجوبه أكثر المحققين، منذ أمد بعيد. وعلم المنطق ليس مطلوباً لذاته، وإنما لأن مقاصده وسيلة للتحصيل.

---

19 – كلمة (حكيم) كانت تعنى الفيلسوف أو الطبيب فى عصر المؤلف، والمقصود هنا الفيلسوف.

20 – السيد الشريف الجرجانى: هو على بن محمد بن على الحنفى الشريف الجرجانى. ولد فى استرآباد، سنة ٧٤٠هـ، وتوفى بشيراز فى ٦ ربيع الآخر سنة ٨١٤ أو٨١٦هـ. قال عنه العينى فى تاريخه:عالم بلاد الشرق، كان علامة دهره، وكانت بينه وبين الشيخ سعد الدين، مباحثات ومحاورات فى مجلس تيمولنك. ومن تصانيفه:

– شرح المواقف للعضد، – حواشى شرح الأصفهانى للتجريد للنصير الطوسى، – شرح القسم الثالث من المفتاح، – حاشية المطول، – حاشية الكشاف، – حاشية المختصر، – رسالة فى تحقيق معنى الحرف، انظر :

– طاشكبرى زاده: مفتاح السعادة، ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، ج١، ص ص ١٩١-١٩٢-١٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

– السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٥، ص ص ٣٢٨-٣٣٠، مكتبة دار الحياة، بيروت، د. ت.

ولقد استقر بين الطوائف والأمم، من قديم الأزل، أن العلوم الضرورية، والحقيقية، والبرهانية، هى علوم حقائق الأشياء المذكورة. وهناك اتفاق بين مباحث الكتب المنزلة، والعلوم الشرعية، وبين مباحث العلوم المذكورة، فى أكثر المسائل، وهناك أيضا اختلاف فى بعض المسائل الأخرى. وتلك أمور يعلمها أهلها.

أما العلوم الشرعية، فهى مراد العلوم الإسلامية فى هذا العصر، وهى إما مقصودة بذاتها، وإما هناك وسيلة لتحصيلها. وهى العلوم الإلهية، والعلوم الأدبية، وعلوم اللغة العربية. وأدب الدرس موقوف عليها بذاته، وأدب النفس موقوف عليها بالواسطة. وتذكر كتب موضوعات العلوم أن البحث عن الألفاظ العربية، له اثنا عشر قسماً.

أما المقصودة بذاتها، فموضوعاتها تمتاز بعضها عن بعض، ومنها علم التفسير، وموضوعه كلام الله، ومنها علم الحديث، وموضوعه كلام رسول الله، ومنها علم الكلام، وموضوعه كلام الله ورسوله، ومايُستنبط من الأمور المتعلقة بالعقيدة. وقد خلط المتأخرون المباحث الفلسفية بهذا العلم. وذكر العلامة "سيد سعد الدين"[٢١] فى "شرح المقاصد" أنه وجد فى ذلك مصنفات كثيرة. وأما ماكان متعلقاً بالعلم، وليس بالعقيدة الخالصة، فهو علم الترهيب والترغيب المتفرع عن الأصول والفروع. وكما ذكرنا آنفاً، فإن العلوم العقلية

---

21 – لعله يقصد العلامة سعد الدين بن مسعود التفتازانى، المتوفى سنة٧٩١هـ، صاحب كتاب المقاصد فى علم الكلام، وكتاب شرح العقائد.

انظر: – كاتب چلبى: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ج٢، ص١٧٨٠، مطبعة وكالة المعارف التركية، استانبول، ١٩٤١.

والحكمية، اختلطت مع تلك العلوم. ولايمكن الوقوف على المرتبة التامة لتلك العلوم التى ليست من العلوم الشرعية.

فإذا انتقلنا إلى إنكار أصل تلك العلوم الشائع بين الناس، وجدنا أن صحابة رسول الله، كانوا يتشبثون بكتاب الله، وسنة رسوله، ويحرمون الاشتغال بعلوم غير العلوم التى ترسخ العقيدة الإسلامية، ويظهرون فى ذلك شدة عظيمة. حتى إن سيدنا عمر، أحرق ألوفاً من الكتب التى كانت موجودة، عند فتح مصر والإسكندرية.[٢٢]؛ ذلك لاعتقاده أنه إن لم يفعل ذلك، لانصرف الناس عن حفظ كتاب الله، وسنة رسوله، وتهاوت قواعد الإسلام.

ذلك مارأوا فيه المصلحة فى صدر الإسلام، ثم جاء التابعون والمجتهدون، فدونوا روايات الرواة، واستنبطوا الأحكام من الأدلة الشرعية، حسب قواعد الأصول والفروع، ودونوها. وبعد تدوين العلوم الإسلامية، بطريقة محكمة، تباينت رؤية المسلمين لها، فمنهم من رأى ضرورة تعلم علم حقائق الأشياء؛ لأن العلة التى منعت السلف من اكتسابه قد زالت. من هنا نشطت حركة ترجمة علوم الأمم السابقة وتعريبها فى عصر بنى أمية والعباسيين. وأقبل على قراءتها أصحاب الفطرة السليمة، والعقول المستنيرة فى كل عصر، وجدوا فى تحصيلها. فظهر محققون جمعوا فى تأليفهم وتحقيقهم بين الحكمة والشريعة، وحازت مصنفاتهم شهرة ورواجاً. ومن هؤلاء العلماء المحققين، الإمام

---

22 - لايذكر كاتب جلبى مصدر تلك المعلومة الغريبة العارية من الصحة التاريخية تماماً. فمن المعروف تاريخياً أن الرومان هم الذين أحرقوا مكتبة الإسكندرية، قبل فتح المسلمين لمصر بنحو خمسمائة سنة تقريباً.

انظر : - بروسه لى محمد طاهر عثمانلى مؤلفلرى، ج٣، ص١٣٠.

الغزالى[٢٣]، والإمام فخر الرازى[٢٤]، والعلامة عضد الدين وأتباعه[٢٥]، والقاضى

---

23 - الغزالى، هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسى الفقيه الشافعى. كانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران، وتوفى يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران.. اشتغل فى مبدأ أمره بطوس على أحمد الرازكانى، ثم قدم نيسابور، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى، وجد فى الاشتغال حتى تخرج فى مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم فى زمن أستاذه، وصنف فى ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجح به، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفى، فخرج من نيسابور إلى العسكر، ولقى الوزير نظام الملك، فأكرمه وعظمه وبالغ فى الإقبال عليه.. ثم فوض إليه الوزير التدريس فى مدرسته النظامية ببغداد، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها.. وأعجب به أهل العراق، وارتفعت عندهم منزلته. ثم ترك جميع ماكان عليه فى ذى القعدة سنة ٤٨٨هـ، وسلك طريق الزهد والانقطاع، وقصد الحج، ثم توجه إلى الشام، فأقام بمدينة دمشق مدة، وانتقل منها إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالأسكندرية مدة، ثم عاد إلى وطنه بطوس، واشتغل بنفسه، وصنف الكتب المفيدة فى عدة فنون، منها:

- الوسيط، - الوجيز، - البسيط، - الخلاصة، - إحياء علوم الدين، - المستصفى، - المنحول والمنتحل فى علم الجدل، - تهافت الفلاسفة، - معيار العلم، - المقاصد، - مشكاة الأنوار، - المنقذ من الضلال، - المضنون به على غير أهله، - المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى

انظر: - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، ج٤، ص ص ٢١٦-٢١٩، دار صادر، بيروت.

24 - الإمام فخر الرازى(٥٤٤-٦٠٤هـ): هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التيمى البكرى، وهو فقيه ومفسر ولغوي له باعٌ طويل فى علوم كثيرة. وله تصانيف كثيرة، منها: - التفسير الكبير، - المطالب العالية، - نهاية العقول، - المحصل، - التبيان فى المعانى، - البرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان، - المباحث العمادية، - عيون المسائل، - المعالم، - الزبدة، - شرح الإشارات، - شرح عيون الحكمة، - شرح مفصل الزمخشرى، - شرح وجيز الغزالى، انظر: - طاشكبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص١٠٢.

25 - العلامة عضد الدين: هو عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجى القاضى المتوفى سنة٧٥٦هـ. من أشهر تصانيفه: - المواقف فى علم الكلام، انظر: - كاتب چلبى:كشف الظنون، ج٢، ص١٨٩١.

**البيضاوي[٢٦]، والعلامة الشيرازي[٢٧]، وقطب الرازي[٢٨]، والعلامة سعد التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، ومن أتباعهم جلال الدواني وأتباعه.[٢٩]**

---

26 - القاضي البيضاوي: هو الإمام القاضي ناصر الدين أبوالخير عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي. ولي قضاء القضاة بشيراز، ومات بتبريز سنة ٦٤١هـ، أو ٦٨٥هـ كما قال الصفدي. ومن تصانيفه:

- الطوالع، - المصباح في أصول الدين، - شرح المصابيح في الحديث، - مختصر الكشاف، - المنهاج في أصول الفقه، - شرح مختصر ابن الحاجب، - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (في التفسير)

انظر : - طاشكبري زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٩٢-٩٣.

- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ص٩٧-٩٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

27 - العلامة الشيرازي: هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي الشافعي. ولد بشيراز سنة ٦٣٤هـ، وكان أبوه طبيباً، فقرأ عليه وعلى عمه، والزكي الركشاوي، والشمس الكبي. ثم سافر إلى نصير الدين الطوسي، فقرأ عليه وبرع، ثم دخل الروم فأكرمه صاحبها، وولي قضاء سيواس وملطيه. وقدم الشام، ثم سكن تبريز، وقام فيها بتدريس العلوم العقلية.. توفي في الرابع من رمضان سنة ٧١٦هـ. من تصانيفه :

- شرح المختصر لابن الحاجب، - شرح المفتاح، - شرح كليات القانون لابن سينا، - شرح حكمة الإشراق، - درة التاج (بالفارسية)، - التحفة (في علم الهيئة)، - نهاية الإدراك، انظر :

- طاشكبري زاده : مفتاح السعادة، ج١، ص ١٨٩ - ١٩٠.

28 - قطب الرازي: هو محمد بن محمد الرازي، الشيخ العلامة المعروف بالتحتاني، وهو إمام مبرز في المعقولات، اشتهر اسمه، وذاع صيته. قال ابن السبكي: بحثنا معه في دمشق فوجدناه إماماً في المنطق والحكمة، عارفاً بالتفسير والمعاني والبيان، مشاركاً في النحو، يتوقد ذكاء. توفي في السادس من ذي القعدة سنة ٧٦٦هـ. من تصانيفه :

- حاشية على الكشاف، - شرح مطالع الأرموي، - شرح الرسالة الشمسية

انظر : - طاشكبري زاده : مفتاح السعادة، ج١، ص ٢٧٥.

29 - جلال الدواني: هو جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني، المتوفى سنة ٩٠٧هـ. وهو فقيه ومفسر، له تفسير اسمه "تفسير القلاقل" وهي جمع "قل". وله كتاب "كشف الأرواح" بالفارسية، و "رسالة في إيمان فرعون"، و"رسالة في أفعال العباد"، وكثير من الحواشي. انظر : - إسماعيل البغدادي : هدية العارفين، ج٢، ص ٢٢٤.

لكن نفراً من ذوى العقول السقيمة، أخذوا بروايات المنع التى كانت موجودة لعلة، فى صدر الإسلام، فردوا تلك العلوم الفلسفية وأنكروها.[٣٠] إنهم جهلاء متفيهقون ليسوا على شيء، لم يقرع آذانهم قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣١] ينظرون إلى السماوات والأرض كالأبقار!!

لقد اشتهرت الدولة العثمانية، حتى أوائل عهد السلطان سليمان خان [٣٢]، بوجود محققين جمعوا بين علوم الشريعة والحكمة. ولما ابتنى أبو الفتح السلطان محمد خان[٣٣] المدارس الثمانية، اشترط فى وقفيته، تدريس حاشية التجريد[٣٤]، وشرح المواقف[٣٥]. لكن المتأخرين، اعتبروا تلك الدروس من الفلسفة،

---

30 - يقصد العلوم العقلية.

31 - سورة الأعراف، آية ١٨٥.

32 - هو السلطان سليمان بن السلطان سليم الأول، المعروف بالقانونى. بويع له بالسلطنة بعد وفاة أبيه، فى شوال سنة٩٢٦هـ، توفى سنة ٩٧٤هـ.

33 - هو السلطان محمد الثانى، فاتح القسطنطينية، المعروف بالفاتح. بويع له بالسلطنة بعد وفاة أبيه سنة ٨٥٥هـ، وتوفى سنة٨٨٦هـ.

34 - حاشية التجريد :هو أحد كتب الحواشى التى صنفها كثير من علماء المسلمين فى شرح كتاب"التجريد فى الفقه" لأبى الحسن أحمد بن محمد بن جعفر بن حمدان القدوري، المتوفى سنة ٤٢٨هـ. والحاشية المقصودة هنا هى حاشية السيد الشريف الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦هـ. فقد اشتهرت تلك الحاشية بين علماء الروم، والتزموا بتدريسها بتعيين بعض السلاطين. وقد عنى علماء الروم بها ووضعوا عليها العديد من الحواشى. انظر :

- عبدالله محمد الحبشى : جامع الشروح والحواشى، ص٥٣٢، ط١، المجمع الثقافى، أبوظبى، ٢٠٠٤ ، - دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، ج٦، ص٣٣٣

35 - شرح المواقف :هو أحد شروح كتاب " المواقف فى علم الكلام " للعلامة عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجى القاضى المتوفى سنة ٧٥٦هـ. انظر :

- كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص ١٨٩١.

فألغوها، ووضعوا مكانها دروس الهداية[٣٦]، وأكمل[٣٧]؛ ولهذا كسدت سوق العلم عند الروم.

وبرغم أن أهل العلم أوشكوا على الانقراض، فإني رأيت فى بعض ديار الأكراد، طلاباً مبتدئين يحصلون العلم كما يجب، ويمثلون طفرة عظيمة، إنهم بعض طلاب الحكمة فى عصرنا. فمن أجل هؤلاء، أوردت فى رسالتى عدة مواد؛ حتى أرغبهم فى تحصيل علم حقائق الأشياء، كما كان سقراط وأفلاطون يرغبان الطلاب الموهوبين، أثناء المذاكرة والمدارسة، وحتى أوصيهم وأنصحهم بضرورة السعى فى تحصيل العلم المطلق، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فمما لاشك فيه أنه ليس للعلم ضرر؛ حتى يُذم وينكر؛ ذلك أن إنكار العلم، سبب للبعد عنه.

## المادة الأولى: فتوى المفتى العالم بالهندسة، والمفتى الجاهل بها :

اكترى أحدهم أجيراً بثمانى آقچات[٣٨] لحفر بئر طولها وعرضها وعمقها

---

36 – الهداية: هو كتاب الهداية فى الفروع، لشيخ الإسلام برهان الدين على بن أبى بكر المرغينانى الحنفى المتوفى سنة ٥٩٣هـ. وهو شرح على متن له سماه بداية المبتدئ.. ولهذا الكتاب شروح كثيرة كتبها علماء العرب والروم.. وقال الشيخ أكمل الدين إن صاحب الهداية بقى فى تصنيف الكتاب ثلاث عشرة سنة، وكان صائماً فى تلك المدة لايفطر.. وقد قيل فى شأن هذا الكتاب :

إن الهداية كالقرآن قد نسخت ماصنفوا قبلها فى الشرع من كتب

فاحفظ قواعدها واسلك مسالكها يسلم مقالك من زيغ ومن كذب

– كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص ٢٠٣٢ ومابعدها.

37 – أكمل : لعله يقصد كتاب "العناية" فى شرح الهداية للعلامة محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الرومى البابرتى المتوفى سنة ٧٨٦هـ. انظر :

– كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص ٢٠٣٥.

38 – الآقچه، عملة فضية عثمانية قديمة.

أربعة أذرع. فحفر الأجير بئراً طولها وعرضها وعمقها ذراعان، وطلب أربع آقچات. فإن كان المفتى لايعرف الهندسة، أفتى بأن حقه أربع آقچات ، وإن كان يعرف الهندسة، أفتى بأن حقه آقچه واحدة.

**المادة الثانية : حكم القاضى العالم بالهندسة، والقاضى الجاهل بها :**

باع رجل لآخر حقلاً طوله وعرضه مائة ذراع، وعند التسليم، سلمه حقلين طول الواحد منهما وعرضه خمسون ذراعاً، فوقع بينهما النزاع، وذهبا إلى قاض لايعرف الهندسة، فحكم بأن هذا التسليم هو الحق. ثم ذهبا إلى قاض آخر يعرف الهندسة، فحكم بأن هذا هو نصف الحق، وذلك هو الصواب. فمن رغب فى معرفة أصل ذلك، فدونه الرياضيات يدرسها.

**المادة الثالثة :**

بعدما فصل العلامة البيضاوى القول فى تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[39]، قال إن للقمر ثمانية وعشرين منزلاً، ينزل كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه، أو يتقاصر عنه. فلو كان القمر ينزل منزلاً فى كل ليلة، لكان الكلام صحيحاً. لكن الأمر ليس كذلك، فهو فى منتصف الليل ينتقل من منزل إلى آخر، أى أنه فى الليلة الواحدة، يتحرك فى منزلين، وله حد معين فى المنزل، يقدر بنحو ثلاث عشرة درجة تقريباً، وأحياناً يكون إحدى عشرة درجة. فمن رغب فى الوقوف على أصل ذلك، فدونه علم النجوم والفلك.

كذلك الأمر فى شأن سد الإسكندر، فى آية ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾[40]، فقد قيل إن

---

39 – سورة يس، آية ٣٩.

40 – يقصد قوله تعالى "حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولا" سورة الكهف، آية ٩٣.

الراجح كونه فى منطقة تبريز بين جبلى أرمينيا وآذربيجان، وذلك غير مطابق للواقع. فمن رغب فى معرفة ذلك، فدونه علم الجغرافيا.

## المادة الرابعة :

خطرت لى أثناء اشتغالى بدروس الرياضيات، ، ثلاث مسائل، استفتيت شيخ الإسلام بهائى أفندي[41]، فى إرجاعها إلى مسائل فقهية. فكتب لى رسالة تتضمن شرحاً، ثم كتب إجابة مفصلة فى كل مسألة من المسائل الثلاث، ووصلت الفتوى بخطه، إلى أمين الفتوى الشيخ زاده أفندي[42]، الذى نقلها وذيلها، بعد تقويم مابها من غلط فاحش. وتلك هى المسائل الواردة بالرسالة:
الأولى:هل يمكن تطبيق طلوع الشمس من الغرب على أصول علم الهيئة ؟ والثانية: كم فرضاً من الصلوات الخمس يصلى، وكم يوماً يصام، فى ستة أيام قمرية، وست ليال قمرية ؟ والثالثة: هل هناك قبلة غير مكة فى جهات الأرض الأربع ؟ إنها مسائل تقتضى همة عالية من أرباب الاستعداد لدراسة المعقولات والرياضيات؛ ليقطعوا بطريق النظر، الشكوك والأوهام.

---

41 – شيخ الإسلام بهائى افندى "١٥٩٥-١٦٥٤م": هو محمد بهائى افندى، شيخ الإسلام الثانى والثلاثون فى الدولة العثمانية. ولد فى استانبول سنة١٠٠٤هـ/١٥٩٥م، وعمل قاضياً بسلانيك وحلب. اتهمه والي حلب بسوء السيرة، وشرب الدخان، وشكاه إلى السلطان مراد الرابع، الذى كان يعدم المدخنين فى استانبول وقتئذ، فعزله ونفاه إلى قبرص، ثم عفا عنه، فرجع إلى استانبول، وعاد للعمل بالقضاء. ثم صار قاضى عسكر الروملى، ثم عزل وعين قاضى عسكر الأناضول. ثم عين شيخاً للإسلام سنة ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م. وكان الشيخ عصبياً، ولايعترف بالعلوم العقلية؛ ولذلك رفض إصدار فتوى تعترف بكروية الأرض. وكان ذلك سبباً فى اتهام كاتب چلبى له بالجهل.

- DR. Abdülkadir Altunsu: Osmanlı Şeyhülislamlari, s. s. 73-75. Ayyldız matbaası. Ankara. 1972.

42 – الشيخ زاده افندي : لم أقف له على ترجمة.

**تنبيه:**

وليكن معلوماً بعد ذلك، أن النزاع والاختلاف إذاوقع بين قوم، فى مسألة من المسائل، ثم استحكم واستفحل، فإنه يتعذر منعه بالكلية، حتى لو جاء صاحب سيف، وأسكته بالقهر والغلبة، فهيهات هيهات أن يقضى عليه. والآن فإن الهدف من تحرير تلك الرسالة قد صار جلياً لأرباب الاستعداد. وبما أن العوام كالهوام، فإنه لاخير فى مباحثتهم ومجادلتهم. ولعله من المعلوم، أن الناس، من عهد آدم عليه السلام، وهم فرق وشيع، ولكل فرقة مشربها ومذهبها، و"كل حزب بما لديهم فرحون"[43]. ومن ثم فإن كل فرقة مستمسكة بمذهبها، وتفضله على مذهب غيرها. ليت شعرى، أى الفرق على حق؟!

إن من يتأمل حكمة هذا الاختلاف، يجد فيه منافع كثيرة ؛ ومن ثم، فإنه لايحق لأحد التدخل فى مذهب غيره، حتى وإن كان منكراً فى اعتقاده، ويكفيه أن ينكره بقلبه. أما الحمقى الذين لايدركون حكمة الاختلاف، فإنهم لايتصورون أن يكون لكل قوم مذهبهم، ويتدخلون فى أمور غيرهم الدينية، وهو ممنوع إلا حين تقتضى الضرورة، فعندئذ يقع مالا يمكن دفعه. وأما أهل البصيرة، فيعلمون أن الاختلاف سنة كونية، تقتضيه حكمة التمدن والاجتماع، وأن الخلق أجناس، لكل جنس حال وشأن. وذلك ماأتاح لهم إدراك أسرار حكمة التمدن. تلك مقولة دامغة لأرباب الجدال والنزاع، تجعلهم كذباب وقع فى بيت العنكبوت.

---

43 – وردت هذه الآية فى موضعين: – سورة المؤمنون، آية ٥٣. – سورة الروم، آية ٣٢.

## المبحث الأول: حياة الخضر عليه السلام

إن الحديث عن الحياة والموت، أمر بديهي، لكننا سنخوض فيه هنا للضرورة. فحياة كل ذى روح، تتصف بالتنفس والحس والحركة. فالحيوان متصف بالحياة؛ لأنه ذو روح، والذوات المادية قائمة بتلك الصفة؛ لأنها تتألف من العناصر الأربعة، وهى أصل المادة، ويمتزج كل منها بالكيفيات الأربع، وهى الكسر والانكسار، والفعل والانفعال. وبعد حدوث الامتزاج، يأتى الاستعداد للحياة، فالفياض جواد، فينفخ الروح فى البدن، فتدب الحياة فيه، فيحس ويتحرك. وأمزجة أنواع جنس الحيوان مختلفة، فإن اعتدل مزاج الحيوان، وكذلك الإنسان، كان معتدلاً. وعمر كل نوع متوقف على مزاجه، وهذا مايطلق عليه العمر الطبيعي.

ولايمكن أن يكون تركيب المزاج على نسق واحد؛ إذ يظهر أثر الأشياء المختلفة الطبائع فيه، ويظهر ذلك الاختلاف اللازم فى ثلاث مراحل: الأولى مرحلة النمو، والثانية مرحلة الشباب، والثالثة مرحلة الشيخوخة (الانحطاط)، ففى تلك المراحل تتفاوت قوة البدن الحاصلة من المزاج. والكيفية الفاعلة، والكيفية المنفعلة، هما عمدة أصل المزاج، وهما عبارة عن الحرارة الغريزية، والرطوبة الغريزية. وعادة مايكون الانتقال بين تلك المراتب من القوة إلى الضعف، وبغض النظر عن المؤثر الخارجى، فإن الحرارة الغريزية، عادة ماتفنى الرطوبة الغريزية. والرطوبة الغريزية، هى مادة الحياة، والروح الحيوانى، الذى يستمد الحرارة والرطوبة الحاصلتين مما يتحلل من البدن بواسطة الغذاء. وفى نهاية مرحلة الانحطاط، تقل الرطوبة الغريزية، ويقل الاستعداد لتلقى الإمداد

الخارجى، وعندها تكون نهاية الحياة، ويتوقف الحس والحركة والتنفس، ويموت الحيوان. عندها تنتفى صفة الحياة، ويصير موت الحيوان طبيعياً، وذلك من الأمور المحتومة التى تعم كل أفراد النوع والجنس.

## حياة سيدنا عيسى عليه السلام

أما إذا وقع أمر خارق للعادة والطبيعة، فإنه بحاجة إلى الإثبات بنص قاطع، مثل سيدنا عيسى عليه السلام. فمن المتفق عليه فى الجدل، أن الخارق للعادة لايثبت عن طريق الخبر الواحد والظنيات. فإن كنا نعنى بحياة الخضر، انسلاخه من البشرية، والتحاقه بالروحانية، مثل سيدنا عيسى عليه السلام، فهناك أدلة واردة تثبت تلك الدعوى. والكيفية التى سيكون عليها سيدنا عيسى عليه السلام حال نزوله، سيكون عليها الخضر كذلك. وكلاهما ليس له لقاء أو صحبة جسمية مع أبناء جنسه.

غير أن هناك روايات تثبت وجود صحبة ولقاء، ومن الجائز أن يكون القائلون بها من المتخرصين. فما هو أصل تلك الروايات؟ من المعلوم أن للمشايخ الكرام، كثيراً من الرؤى والكرامات والروحانيات الغيبية، لا تتيسر لمن ليس فى مرتبتهم. فقد أورد عزيز محمود أفندي الاسكدارى فى "جامع الفضائل"[٤٤]: "وبعض أهل السلوك إذا تصفى يرى الموتى عياناً. وعن بعض

44 – عزيز محمود افندى الاسكدارى: هو عزيز محمود بن فضل الله بن محمود الرومى القسطنطينى الخدائى المعروف بالاسكدارى، المتوفى سنة ١٠٣٨هـ. وهو واعظ رومى حنفى من مشايخ الخلوتية. له تصانيف بالعربية والتركية، منها :

– جامع الفضائل وقامع الرذائل، – خلاصة الأخبار فى أحوال النبى المختار، – حياة الأرواح ونجاة الأشباح، – كشف القناع عن وجه السماع، – التبر المسبوك على ماجرى في

الفقراء أنه قال: كنت فى بداية سلوكى ببروسه، وكان بمجلسنا رجل يؤذن بجامع مولانا الفنارى[45]، فمات المؤذن يوماً، ومضى عليه أيام كثيرة. فذهبت إلى شيخى بعد صلاة الصبح، فلقيت المؤذن المذكور فى الطريق، ومعه شخص آخر لا أعرفه، وكان الثلج يترل علينا، فسلمت عليه ومضيت. ثم ذكرت القصة للشيخ، فقال: هذا بسبب رياضتك أياماً. وكان غذائى فى تلك الأيام خبزاً جافاً. ثم قال الشيخ: لقد لقيت أنا بعض الموتى فى سكة فوق سوق السمك ببروسه".

فلا ريب أن المشايخ فى أول سلوكهم، يأخذون أنفسهم بالرياضة الشاقة؛ حتى يصلوا إلى مرتبة قهر النفس، وعندئذ تلوح لهم الأرواح فى عالم الأشباح، كما ذكر "عزيز" المذكور، فى رسالته، أن أحد أحبائه أدركته منيته، وبعد زمان

=

أثناء السلوك، - التجليات الخدائية، - حاشية على فقه الكيدانى، - حال الأرواح وحياة الموتى، - فتح الباب ورفع الحجاب.

انظر: - ابن الغزى (شمس الدين أبوالمعالى محمد بن عبدالرحمن بن الغزى -ت. ١١٦٧هـ): ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروى حسن، ج١، ص١٢١-١٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

45 - الفنارى: هو شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفنارى، ولد فى صفر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. قال عنه السيوطى: لازمه شيخنا العلامة محيى الدين الكافيه جى، وكان يبالغ فى الثناء عليه جداً. وقال ابن حجر:كان المولى الفنارى عارفاً بالعلوم العربية، وعلمي المعانى والبيان، وعلم القراءات، كثير المشاركة فى الفنون. عمل قاضياً ببروسه، وارتفع قدره عند العثمانيين حتى صار فى رتبة الوزير، واشتهر ذكره، وشاع فضله. توفى فى رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة. وله تصانيف كثيرة منها:

- فصول البدائع فى أصول الشرائع (فى أصول الفقه)، - تفسير الفاتحة، - أنموذج العلوم، - شرح الرسالة الأثيرية، - شرح الفرائض السراجية، - تعليقات على شرح المواقف للسيد الشريف الجرجانى، انظر :

- طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية، ص ١٧-١٨، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٥.

قابله عند باب الزاوية، وسلم عليه، فتوافد الناس إلى مترله، فأخبرهم أنه رأى فلاناً المرحوم، وأنه خرج لما حضرتم. فالسالك يأخذ نفسه بالرياضة؛ ليحصل له الكشف. فأنا الفقير عندما أدخل السوق، أرى أحياناً أمواتاً بين الأحياء.

والحقيقة أن ناقلي تلك الروايات، قد أظهروها للناس على أنها خوارق، جهلاً وزوراً، فصدقها الناس؛ لأنهم لايعرفون أصلها. ولعل الغلط في مثل تلك الروايات، يكمن في أن الأدعياء والكذبة يستغلونها، فيزعمون أن لهم مقابلات روحية؛ لينالوا بها أغراضاً فاسدة.

فإن قيل، أفلا يعتبر أن ماكتبه ابن حجر العسقلاني في الإصابة، عن أصحاب الخضر، من الدليل على حياته الجسمية؟فالجواب أن ابن حجر كان قاضياً وعالماً ومحدثاً مرموقاً في مصر، وله تصانيف في الفقه الشافعي، وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. لكن أكثر مهارته كانت في علم الحديث، الذي صنف فيه نحو خمسين مجلداً قيماً، أما في الدرايات والمعقولات، فشأنه مختلف، وماكتبه عن الظنيات واليقينيات كلام واهن، لايفحم الخصوم. وقد صنف ابن الجوزي[٤٦] في هذا الموضوع كتاباً مستقلاً بعنوان" عجالة المنتظر".

---

46 – ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن عبدالله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبدالله بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كانت ولادته بطريق التقريب، سنة ثمان، وقيل عشر وخمسمائة. وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. كان علامة عصره، وإمام وقته في الحديث والوعظ، صنف في فنون عديدة، **ومن تصانيفه:** – زاد المسير في علم التفسير، – المنتظم في التاريخ، – الموضوعات، – عجالة المنتظر في شرح حال الخضر، – تلقيح فهوم الأثر، – تلبيس إبليس ، انظر : – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٠-١٤١، – كاتب چلبي: كشف الظنون، ج٢، ص ١١٢٥.

كما ألف ابن خيضر[47] أيضاً رسالة فى هذا الموضوع. ولم نر داعياً لنقل أقوالهما؛ فالعاقل تكفيه الإشارة.

## المبحث الثانى: فى التغني

التغني هو إطالة الصوت بالتنغيم، وفق أصول الموسيقى. فالأصوات لها تأثير واضح لايمكن إنكاره فى النفوس والأبدان، فإن كان الصوت موزوناً ومطبوعاً، يكون تأثيره مثيراً للرغبة والإقبال، وإن كان الصوت نشازاً، يكون تأثيره مثيراً للنفور. ومادام للصوت تأثيره على النفوس، فإن تأثيره ينطبع على الأبدان كذلك.

والصوت النشاز، معلوم بالإدراك، وهو مفسدة للمزاج، وموجب للعلاج. وأما الصوت الموزون، فهو على ثلاثة أقسام:أولها، الصوت الصادر عن حنجرة الطيور، وثانيها، الصوت الصادر عن حنجرة الإنسان، وثالثها الصوت الصادر عن الرباب، وآلات النقر والنفخ، الموجودة لدى جميع الأمم والملل.

فأما أصوات الطيور، فهى مباحة إباحة مطلقة عند علماء الشرع الشريف. وأما أصوات الإنسان، فهى مباحة مع بعض الشروط. وأما أصوات الآلات، فهى محرمة عند علماء الشرع. وقد فصل القول فى ذلك العلامة المحقق "قنالى

---

47 – ابن خيضر "الخيضرى" : هو محمد بن محمد بن عبدالله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن حميد الدمشقى القاضى قطب الدين الرملى الشافعى المعروف بالخيضرى. ولد سنة ٨٢١هـ، وتوفى بالقاهرة سنة ٨٩٤هـ. من تصانيفه :

– الروض النضر فى حال الخضر، – تحفة الحبائب فى النهى عن صلاة الرغائب

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى : هداية العارفين، ج٢، ص ٢١٥-٢١٦.

زاده على أفندي"[٤٨] فى كتابه القيم "أخلاق علائى"، ذلك الكتاب النفيس لدى الإخوان من طلاب الحق، الذين يعكفون على قراءته بدلاً من الأذكار؛ ليقفوا من خلاله على أمور الدين والدنيا، ويعملوا بما جاء فيه. ذلك لأنه كتاب مبارك يجمع بين الحكمة والشريعة، ومصنفه من نوابغ الدهر.

والخلاصة، أن لعلماء الدين مذاهب شتى فى الأنغام والأصوات الصادرة عن الإنسان. فإن كانت أبياتاً وأشعاراً، تتضمن ذكراً للخمر والحبيب والفسق والفجور، فإن الاستماع إليها محرم مطلقاً. وأما إن كانت أشعاراً فى ذكر الله، ونعت رسول الله، والترغيب والترهيب، فإن الاستماع إليها جائز على الأرجح، رغم تحفظ بعض الفقهاء على ذلك؛ فهى على كل حال تجلب حالة من الورع، وهى شىء وتلاوة القرآن شىء آخر.

أما التغنى بالقرآن، فإنه مشروط ومقيد بعدم الإخلال بمخارج الأصوات،

---

48 – قنالى زاده: هو على بن أمر الله المعروف بابن الحنائى عند العرب، وقنالى زاده عند الترك، المتوفى بأدرنة سنة تسع وسبعين وتسعمائة. اشتغل فى العلم على جماعة، واتصل بخدمة ابن كمال باشا، ودرس بإحدى الثماني، وولى قضاء دمشق. وألف بالشام كتاب "أخلاق علائى" وقدمه لأمير أمرائها على باشا، ونسبه إلى اسمه، وجمع فيه بين الجلالى والناصرى والمحسنى، وزاد فيه زيادات حسنة. وكان عالماً متبحراً، يميل إلى الأدب والشعر، ولعله أحسن علماء الروم شعراً. ثم أعطى قضاء مصر، ثم قضاء أدرنه، ثم استانبول، ثم قضاء العسكر، ثم تقاعد وتفرغ للعلم. من تصانيفه :

- أخلاق علائى، – حاشية على شرح التجريد للسيد الشريف، – حاشية على شرح الدرر، – حاشية على حاشية حسن چلبى على شرح المواقف، – رسالة سيفيه

انظر :

- نجم الدين الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: د. جبرائيل سليمان جبور، ج٣، ص١٨٧، مطبعة المرسلين اللبنانية، بيروت، ١٩٤٩.
- كاتب چلبى :كشف الظنون، ج١، ص٣٧.
- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ج٧، ص٣٤.

وأصول الترتيل والتجويد، فيجب ألا يؤدى التغنى إلى اللحن. فالتغنى المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يتغن بالقرآن"[49] لا علاقة له بأصول علم الأدوار.[50] ولقد أجاز البعض عزف الرباب، ودق الطبول، وبعض الآلات؛ إذا كان ذلك لمصلحة، مثل دق الطبول والدفوف لتشجيع الغزاة فى الحرب، وعزف الناى، ونقر الدفوف والجلاجل فى الأفراح والمسرات.

**توضيح :**

إن حكمة المنع الوارد فى الشرع الشريف، هى أن الأنغام على عمومها، لها تأثير فى النفوس والأبدان، كما أسلفنا آنفاً. ويقول الحكماء، فى تحريك الروح والنفس، إن من غلبت روحه نفسَه، وقهر نفسه الأمارة بالتصفية والرياضة، وأعطى عنان الحكم فى مملكة بدنه للروح، فإن سماع الأنغام والألحان، يحرك فى روحه الجانب الروحانى، حتى يتأله، ويبعث فيها الشوق إلى الاتصال بالمبدأ الأول؛ ولهذا السبب لازم أرسطو الأرغون، وكان المشائيون يعزفون أثناء الدرس. أما من غلبت نفسه روحَه، وأخذت النفس الأمارة بمخنقه، فإن سماع الأنغام، يحرك فى نفسه الشهوات الحيوانية، وقد يسمع المبتلى بيتاً فى العشق، فيهوى فى دركات الهوى والهوس، ويغيب عن نفسه.

والخلاصة، أن التغنى يجمع فى ماهيته بين النفع والضرر، فهو نافع لخاصة الخاصة، أما العامة فضرره غالب عليهم. ومن هنا رجح الشرع الشريف جانب المنع؛ لأن دفع الضرر عن العامة، مقدم على جلب المصلحة للخاصة.

---

49 – قال البخارى رحمه الله:حدثنا إسحاق أبو عاصم، أخبرنا ابن جريج أخبرنا ابن شهاب عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" صحيح البخارى، ج٦، ص ٢٧٣٧.

50 – علم الأدوار: لعله يقصد علم التلحين والإيقاع.

ومن اللازم على العوام اتباع حكم الشرع الشريف.

لقد كان بعض المشايخ، الذين سلكوا مسلك الحكماء، يستعملون بعض الآلات؛ لاستثارة الشوق لدى طلاب السلوك، حتى يغلب الشوق عليهم، وتصفوا أنفسهم. ولم يكن لأكثرها أنغام حسب الأصول المعروفة بالسماع، إنما فقط لاستثارة الانفعال والوجد، وهى من قبيل استعمال السم فى الدواء. والعلة فى ذلك، أن أكثر أصول التصوف، مستمدة من حكمة الإشراق، وهذا ماجعل المتصوفة مطعناً للفقهاء فى كل عصر. وكان المتصوفة يتهمون الفقهاء بالجهل، ويعزفون ويصيحون قائلين :

انت لاتعلم كلام الناى والعود     انت حسبى أنت كافى ياودود

وانطلاقاً من قوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[51]، فإن قول كل فريق وفعله، لايخلو من وجه، وتلك قضية لم تحسم بعد، ولايتوهم عاقل إمكانية حسمها، والسلام.

## المبحث الثالث : الرقص والدوران

يطلق الرقص فى اللغة على الحركات الموزونة عموماً. وكما تتأثر النفوس بسماعها أصوات الآلات الموسيقية، ونغماتها الموزونة، فإنها تتأثر أيضاً برؤيتها الحركات الموزونة. فهناك وسيلتان للتأثير، إحداهما بالسمع، والأخرى بالبصر. ومن اللازم لحدوث التأثير، وجود الوزن والحركة، فالحركة غير الموزونة لاتأثير لها. والكلام عن تأثير الرقص كثير، شأنه شأن التغنى الذى فصلنا فيه القول آنفاً.

---

51 – سورة البقرة، آية ١٤٨.

وننتقل بعد ذلك للحديث عن حركة بعض المتصوفة، أثناء الذكر والتوحيد. فيرى علماء الظاهر أن الحركة الدائرية (الدوران)، هى رقص أيضاً، ويفتون بتحريمها، وتكفير من يبيحها. أما المتصوفة، فيقولون إن الرقص لاعلاقة له بالدوران؛ ذلك أن الدوران؛ لاستثارة الوجد، هو نوع من الحركة المختلفة عن الرقص، وهو أمر نافع لابأس به. ويحتجون برقص الأحباش، ودوران على رضى الله عنه.

وتلك مسألة اجتهادية، من قال برأى فيها ليس بكافر. والأصل فى فتوى تحريم دوران المتصوفة، أنها كانت بغرض حماية السلطنة، من تجاوزات المتصوفة فى الماضى، خاصةً أن الدولة الشاهية [الصفوية] انبثقت من إحدى الطرق الصوفية. ولهذا كانت المصلحة فى التشديد والتغليظ؛ حتى تفتر حماستهم فى جمع المريدين.

ويرد المتصوفة على من يسأل: ما الفائدة من الدوران ؟ بأن الحركة تولد الحرارة فى السالك، أثناء الذكر والتوحيد، وتطرد البرودة من بدنه، فتولد الحرارة الروح الحيوانى فى البدن، فتدب الحركة فى الروح والقوى، وتنشط الروح الإنسانى. وتأثير الحركة فى الروح مثل تأثير سماع الذكر والأنغام؛ لأنها تجلب حالة من الشوق تحرك الروح. وفى تلك الحال، كثيراً ماتقع الغيبة، والخروج من عالم الصحو، فتكون الأبدان فى الأرض، والأرواح تحلق فى عالمها. وتلك أحوال ذوقية، تنشأ عن الحركة، ومن لم يذق لم يعرف. والسالك يترقى فى المنازل بتلك الطريقة، ويفوز ببغيته فى أقرب وقت. ولماذا ننكر علاقة حركة الأبدان بتحريك الأرواح، وقد جاء فى الكتب الحكمية[٥٢]، أن الطالب

---

52 - يريد كتب الطب، فالحكيم كان يعنى الطبيب، فى ذلك الزمان.

المبتدئ يحرك رأسه بالفطرة، أثناء الاستذكار؛ ذلك لأنه يتولد عن تحريك الرأس، قدر من الاعتدال فى الدماغ بسبب الحرارة، فيكون ذلك سبباً فى زيادة القوة الفكرية؟!

والواقع، أن المتصوفة فى الغالب، أقاموا طريقتهم على جمع المريدين، وفق أصول الطريقة الخلوتية، وأقاموا التكايا، وكان مسلكهم الصاخب، آلة تجمعهم، ومدار معاشهم، وركن انتعاشهم. والمراسم الصورية عندهم واجبة؛ لذلك استندوا إلى إباحة السلف أمر السماع والحركة الضرورية، وفعلوا فعل الحمقى، وأصحاب السمعة السيئة. ولما كان العوام كالهوام؛ فقد التفوا حولهم، وتوالت النذور والصدقات على التكايا. وكان للدوران تأثير كبير [فى جمع الناس]، حتى صار هؤلاء البلهاء الراقصون بين شاهد أو مريد أوزاهد، بل منهم من صاروا شيوخاً بأكاذيب لاأصل لها ولافصل؛ عملاً [بمقولة] تغيير الشكل لأجل الكل.

لقد أوقع هؤلاء المفسدون، بصخبهم الذى يسمونه الذكر والتوحيد، الشبهة فى المريد الحقيقى، والسالك الصادق. لقد أحسن الناس الظن بهم، لـما رأوهم يتشبهون بالسلف فى زيهم وهيئتهم، عملاً بمقولة "أما الخيام فإنها كخيامهم"، وقاعدة "من تشبه بقوم فهو منهم". ولم يجرؤ أحد على التخلص من الضجيج الذى اتخذوه مداراً لمعاشهم، وآلة لإنعاش جماعتهم، منذ زمن بعيد.

ولهذا شنع بهم علماء الظاهر، وحرروا فى ذلك رسائل عديدة، فكان جوابهم "إن مسلكنا وأمر معاشنا يقوم على التكية وتجمع المريدين، فكيف نقبل بإبطال أعراف الطريقة ومراسمها؟ ذلك دأبنا منذ مئات السنين، وتلك الأعراف والمراسم استقرت بيننا. وهى وإن كانت بدعة، إلا أننا درجنا عليها."

إن الحماقة، هى مدار معاشهم، ولم يقلعوا عنها رغم تشنيع بعض المتعصبين بهم. وماأكثر المنازعات التى وقعت بين الطائفتين، والتى لم يخل منها عصر. والعاقل من يربأ عن الابتلاء بهذا المرض، ولايعمل بحيل هؤلاء، ويقرأ قول الشاعر عن الأدعياء من السالكين المزيفين :

لا يوجد صوفى يلبس الديباج المرصع
فهو مسكين من حسرته يلبس الرث المرقع
هو شيخ يحسده السلطان العظيم
بوقار على الكرسى قد تربع
إن وقار التصوف ديدنهم
فهم أهل وقار وترفع
يسرهم أن نفتح باب التوقع
لأنه سيكشف عن كمال متوقع
إنهم يحترقون دون لهيب نار
ترى أحوالهم كأحوال الملمع
يلوح منكسراً رفيع القدر منهم
وإنه لذو المنزلة الأرفع
أما من شابههم بفرط تصنع
وكانت حرقتهم وتيجانهم من تصنع
لو وجدوا مغرماً للناس لفعلوه
مادام لهم أجدى وأنفع
لهم فى الظاهر سمت الأولياء
ويجمعون بين الرقص والسماع

يكـــــشفون رؤوســــــهم لـــــشيوخهم
فكـــم ذا بيـــنهم الأقـــرع والأصـــلع
يتـــصايحون ريـــاءً: حـــق.. حـــق
فحقـــاً يخـــرج نقيـــق الـــضفدع
حـــسبك لاتطـــل الكـــلام يـــا أخـــى
فيغنـــى عـــن القطـــع هـــذا المقطـــع

## المبحث الرابع : التصلية والترضية

التصلية، هى أن تقول عند ذكر أحد الأنبياء "صلى الله عليه وسلم"، أو "صلوات الله عليه وسلامه"، أو "اللهم صلِ على محمد". والترضية، هى أن تقول عند ذكر أحد أصحاب رسول الله "رضى الله تعالى عنه". وقد روى عن أئمة الدين "رضوان الله تعالى عليهم أجمعين" استحباب اعتبار الصلاة على النبى فرضاً، ومنهم من أوجبها عقب كل ذكر. وهنا نقطة خلافية تتعلق بخطبة الجمعة، وقول المؤذنين أثناءها "صلى الله عليه" و "رضي الله عنه". فإن كان الأصل وجوب السكوت والإنصات، بمقتضى "إذا قلت لأخيك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت"، وذلك متفق عليه، عندئذ يكون وجوب التصلية موضع خلاف. لكن ترجيح التصلية مبنى على عرف الناس؛ فبرغم أنها بدعة، فإنهم لم يأبهوا بذلك، واتخذوها عادة. وأيما أمر صار عرفاً وعادة بين الناس، فإنه غالباً مايكون مألوفاً للجميع، ويقتضى منعه مكابدة غير مجدية، لا تثمر شيئاً غير إظهار الجهل والحماقة، فمن لم يعرف عرف أهل زمانه فهو جاهل. وكثرة الأخذ والرد فى تلك المسألة، تؤدى إلى مساجلات باللسان، وحروب

بالسيف والسنان، مثل حروب التعصب القديمة.

فلا شك أن كل دعوة تخالف عرف الناس – وإن كانت حقاً – لايمكن قبولها بسهولة؛ ذلك أن منع الناس من ممارسة أعرافهم، يزيدهم تمسكاً بها. وهنا ينبغي الالتزام بتلك القاعدة فى الأمور التعبدية:﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[53]؛ لأن الدعوة بالرفق واللين، هي التي تؤتى ثمارها. ولا يعنى هذا أن نغض الطرف عن تقصير الحكام والوعاظ، الذين يأخذون بمقولة "إبقاء ما كان على ما كان"، فتلك مقولة مغرضة، تؤدى إلى التفريط فى أمور الدين، وإرشاد الناس إلى الطريق القويم.

ولا ضير من الاستشهاد بما كتبه الإمام الغزالى، وهو من أتقى خلق الله، وغيره من كبار العلماء، الذين قالوا "لم نصل فى عمرنا ركعتين بحق!" و"سبحانك ما عبدناك حق عبادتك". فربنا هو الغفور الرحيم، ومحيط رحمته لا نهاية لإحسانه، ولا حد ولا غاية لكرمه. ومن الواجب على الناس الالتزام بتقوى الله ما استطاعوا، والضراعة إليه كما يفعل الأخيار الذين يقولون مقرين بالعجز :

إلهى ! إنى قصدت سدتك ووليت    وجهى الأسود صوب حرم حضرتك
وطرقت باب إحسانك بأربعة    ذنب وعجز ومسكنة وحاجة إليك

وأيضاً :

رب مسكين أقر بمعصيته    صار الأوحد فى طاعته

إن بعض المشايخ يرغبون الناس فى الصلاة على النبى، أثناء الخطبة، وبعضهم يدعوهم إلى غير ذلك. وهذا يتوقف على العادة، ولا علاقة له بالعلم، ولعل ذلك الاختلاف خير للناس، كما سيأتى تفصيله فيما بعد.

---

53 – سورة طه، آية ٤٤.

## المبحث الخامس: الدخان

كنت قد سودت رسالة عن الدخان الذى شاع فى الناس، لكنى لم أبيضها. وهاكم تلك الرسالة بعد تبييضها. وأشير إلى أننى لم أحتف فيها برعاية الترتيب، وإنما حررتها على شكل خواطر. وقبل البحث أود فى إفادةٍ بيان سبب ظهور الدخان.

إفادة :

استطاعت السفن الأسبانية فى نهاية القرن الثامن، وبداية القرن التاسع الهجرى، اكتشاف العالم الجديد. وأثناء عبور البرتغاليين والإنجليز من المحيط الغربى إلى المحيط الشرقى، مرت سفينتهم بالقرب من جزيرة اسمها فى كتاب الأطلس"گينه يا". وحدث أن أصيب طبيب من أفراد السفينة بعارض مرض البلغم، بعدما نالت رطوبة هواء المحيط من بدنه. وأثناء تداويه بالأشياء الحارة واليابسة، وفقاً لقانون العلاج بالضد، رست السفينة بالجزيرة المذكورة. فوجدوا فيها نوعاً من الورق حار الرائحة، يحدث تأثيراً فى القلب والدماغ عند حرقه وشمه. فأخذوا فى جمعه، وتوفرت لديهم كمية كبيرة منه، انتفعوا بها مدة إقامتهم هناك. وصار لدى أهل السفينة اعتقاد بأن هذا الورق، دواء نافع، فجمعوا منه مااستطاعوا، وراحوا يدخنونه؛ تأسياً بالطبيب. وفى طريق عودة السفينة إلى انجلترا، انتشر هذا الورق فى سائر الديار الفرنسية التى مرت بها، ودخنه الناس وهم لايعلمون أصله، حتى ابتلى به معظمهم، وصار من المكيفات، وانتشر فى الشرق والغرب.

وعندما بدأ انتشاره، فى حدود سنة ١٠١٠هـ، صار حديث الوعاظ،

فذهب بعضهم إلى تحريمه، وقال آخرون بكراهته، وأما المبتلون به منهم، فأفتوا بإباحته. ولقد اهتم شيخ الجراحين "إبراهيم أفندي"[٥٤] بهذا الأمر اهتماماً كبيراً، وعقد له مجلس وعظ عام بجامع السلطان محمد، وعلق على الحائط صوراً لفتاوى ونصائح بشأنه. لكن جهوده ذهبت سدى؛ فزاد إصرار الناس على التدخين، رغم كل ماقيل فيه.

وفى أواخر عهد السلطان مراد الرابع[٥٥]، تم إغلاق المقاهى، لدرء المفاسد، ومنع شرب الدخان، بعد الحرائق التى اندلعت من جراء التدخين. وصدر (أمر همايونى) بمعاقبة كل من يدخن، باعتباره مخالفاً لأمر السلطان، وأخذ التشدد فى منعه يزداد يوماً بعد يوم. ولما كان أحب شيء إلى الإنسان ما منع، زادت رغبة الناس فيه أكثر من ذى قبل، مما أدى إلى إزهاق أرواح الألوف بسببه.

وأثناء الحملة على بغداد، تم القبض على خمسة عشر، أو عشرين جندياً من خيرة الجنود، يشربون الدخان فى أحد المنازل. وأثناء تنفيذ حكم الإعدام فيهم، فى حضور السلطان، كان بعضهم يخفى شيئاً من الدخان فى كمه أو جيبه؛ لينتهز أية فرصة لشربه.

لقد دخل الدخان ثكنات استانبول، وكثر عدد شاربيه سراً رغم منعه. وبعد وفاة السلطان مراد الرابع، صارت هناك مراوحة بين منعه والترخيص به، حتى أفتى شيخ الإسلام المرحوم بهائى أفندي بإباحته، فراج ثانيةً بين الناس رواجاً كبيراً، وأظهرت الدولة العلية تراخياً فى تأديب شاربيه. والآن ينتشر

---

54 – إبراهيم افندى :لم أقف له على ترجمة، ويفهم من سياق كلام كاتب چلبى أنه كان كبير الأطباء فى الدولة العثمانية فى عهد السلطان مراد الرابع.

55 – السلطان مراد الرابع، هو السلطان السابع عشر فى الدولة العثمانية. تولى الحكم سنة ١٦٢٣م، حتى وفاته سنة ١٦٤٠م.

الدخان فى كل أرجاء الأرض.

تلك هى قصة الدخان، أما قضيته، فيمكن إجمالها على هذا النحو:

**الاحتمال الأول: إن منعه، وحمل الناس على تركه، احتمال** يجب استبعاده. ذلك لأن العادة طبيعة ثانية، كما أن المبتلى به لا يمكنه تركه لعلة من العلل، ومن ثم يجب عدم حمل الناس على تركه. فإن قيل: وما المصلحة فى منعه؟ فالجواب هو تلك الوصية البليغة التى تقول "فلتكن عصا الحكام، غليظة على ظهر العوام"، فهى تنوط بالحكام مهمة تأديب الناس، ومنعهم فى الظاهر. ومن ثم يتعين على المبتلى بشرب الدخان، التزام الأدب، وعدم التدخين علانية. ومن أراد التدخين، فليدخن فى بيته، وليس للحاكم أن يتعرض له فى بيته؛ لأنه بذلك يلتزم ما لايلزم؛ "فماذا يفعل المحتسب داخل البيت؟!"

**الاحتمال الثانى: هل الدخان فى ميزان العقل، حسن أم قبيح؟** أما المبتلون به، فهم يستحسنونه بلا ريب، وأما العقل السليم فيراه قبيحاً. والحسن والقبح إما عقلى، وإما شرعى، أو هما معاً، ووجوه الاستحسان العقلى مفقودة فى الدخان، بينما وجوه القبح فيه كثيرة. لكن إن ثبت أن به بعض وجوه الاستحسان المفقودة، فإنه يصير - وقتئذ - مستحسناً، شأنه فى ذلك شأن الدواء. ومن أدلة استقباحة عقلاً، أنه لا يشرب فى المساجد والمعابد، وأن الحكام لا يشربونه فى المجالس العامة والدواوين.

**الاحتمال الثالث: هل الدخان نافع أم ضار؟** لا شك فى ضرره المالى؛ لأنه يصير من الحاجات الأساسية للمبتلى به. كما أن ضرره البدنى ثابت لا شك فيه، فهو بصفة عامة، ضار من الناحية الطبية؛ لأنه يكدر الهواء، سيما أنه يصبح مع دوام شربه عادة، والعادة طبيعة ثانية، وهذا هو خطره الذى يجب دفعه.

لكن إقبال الطبيعة على تعاطى شيء بشوق، يجعل الكيفية الردِّية تحول دون تأثير استنشاق الهواء الملوث على القلب. ولذلك فإن بعض المرضى عندما يتناولون غذاء ضاراً باشتهاء ورغبة، لا يكون ضرره شديداً عليهم، بل ربما يصبح دواء لهم. ذلك أن الشوق والرغبة، يمدان الطبيعة بالقوة، ويدفعان المرض. والواقع أن تأثير الأشياء على البدن، يتوقف على إقبال الطبيعة، أوإعراضها. ومن ثم فالشخص الذى ينفر بطبعه من الدخان، ويؤمن بأن شربه ضار، يكون استنشاقه للدخان، عظيم الضرر له.

علاوة على ذلك، فإن من يستنشق الهواء الملوث، لا يخرج عن كونه واحداً من اثنين، فهو إما رطب المزاج، وإما يابس المزاج، وكلا المزاجين يكون بين الصحة والمرض. فالمزاج الرطب، إن كان بصحة وعافية، يكون شرب الدخان موافقاً له؛ لأنه غالباً يحتاج اليبوسة، وإن كان منحرفاً، يكون شرب الدخان دواء ناجعاً له، إن كان انحرافه بسبب الرطوبة. أما يابس المزاج، فالدخان لا يجوز له من جميع الوجوه؛ لأنه يرفع اليبوسة، ويجفف رطوبة الرئة. ويزعم بعض الناس أن الدخان نافع لعلاج البلغم، وذلك وهم لا أصل له، ولا علاقة له بالطب.

**الاحتمال الرابع: هل الدخان بدعة؟** لاشك أنه بدعة من الناحية الشرعية؛ لأنه حديث الظهور. ولا مجال للقول بأنه بدعة حسنة. وهو بدعة كذلك فى نظر العقل؛ لأن العقلاء لم يسمعوا عنه، أويروه من عهد آدم عليه السلام. ومقولة ظهوره فى عهد سيدنا عمر"رضى الله عنه"، وقتله لألوف من شاربيه، مقولة لا أصل لها، وهى من أراجيف المتعصبين.

**الاحتمال الخامس: كراهة الدخان:** لا جدال فى كراهته شرعاً وعقلاً،

ذلك أمر مسلم به عند الجمهور. وكثرة شربه شرط لبلوغه مرتبة الكراهة؛ ذلك لأن رائحة الدخان نفسه، ورائحة أوراقه، ليست كريهة فى حد ذاتها، كما أن رائحته عند حرقه، مقبولة فى الشم. لكن الراجح أن من يسرفون فى شربه، تكون رائحة أفواههم كريهة، لدرجة أنه إذا شمها من لا يدخنون، تكون رائحة البخر لديهم كرائحة العنبر والعود، قياساً برائحة أفواه المدخنين.

والخلاصة، أن رائحة الدخان الظاهرة فى الفم والبدن والثوب، كريهة مثل رائحة أكل البصل والثوم والكراث، فكلتاهما تؤذى الناس. ومثلما ثبت تحريم اللواط، قياساً على تحريم الجماع فى الحيض؛ لعلة الأذى، فإن علة الكراهة تنسحب على رائحة الدخان، قياساً على رائحة البصل والثوم والكراث، وهى كراهة تنـــزيهية. ولا اعتبار هنا لرفض شاربى الدخان التسليم بكراهة رائحته؛ لأنه يـــجوز أنهم لا يكرهون رائحة أفواه بعضهم البعض، وتلك مسألة نفسية. على أية حال، فإن ذلك لا يقتضى التضييق على المدخنين؛ بدعوى تنفيرهم من الدخان، فذلك من قبيل التزام ما لا يلزم.

**الاحتمال السادس: تحريم الدخان:** إن جواز الاجتهاد فى حكم مخصوص، أمر وارد فى كتب أصول الفقه. ومن ثم فإننا لو أخذنا فى الاعتبار شرط الإجماع، مع الاستنباط من الأدلة، بكل وجه ممكن، لوجدنا أن الأولى هو الفتوى بعدم تحريم الدخان. واستنادا على الأصول الفقهية، فإننا نرجح جانب الإباحة، من باب صيانة الناس من الوقوع فى الحرام.

**الاحتمال السابع: إباحة الدخان:** لا توجد فى كتب الفقه نصوص صريحة فى شأن الدخان؛ لأنه حديث عهد بالظهور. ولهذا يقال إنه مباح وحلال، استناداً على القاعدة التى تقول إن الأصل فى الأشياء الإباحة. وفى وقت سابق اقتضت المصلحة، أن يفتى شيوخ الإسلام بكراهته، وأفتى بعض

شيوخ الحواشي[56] بتحريمه. ثم جاء المرحوم "بهائي أفندي" الذى – بغض النظر عن ابتلائه بالتدخين – نظر إليه من زاوية: ما هو الأنسب لحال الناس؟ فأفتى بحله استناداً على أصل الإباحة. ذلك أنه من الثابت أن الفتوى بالرواية، هي من آداب الاجتهاد، فإن لم تكن هناك رواية، لزم الرجوع إلى أصل من الأصول، فإن لم يستطع المجتهد أن يفتي بإباحة مسألة شاعت بين الناس، فعليه عدم الفتوى بتحريمها، أو كراهتها، لأن ذلك محظور. والعلة فى ذلك، هى ثقل وطأة التحريم على الناس.

ومن ثم فإن الفتوى بحله، رحمة بالمبتلين به، وصيانة للناس من العنت. ذلك لأن السواد الأعظم من المسلمين ابتلوا به، ولا يستطيعون تركه والإقلاع عنه، فضلاً عن أنه انتشر فى العالم كله. وبرغم ذلك فإن الحاكم والمفتى، مكلفان بالالتزام بحكم الشرع؛ حتى لا ينتشر الفساد. والفتوى بحله، ليست مثل الفتوى بتحريمه أو كراهته؛ فالأولى لا ترى فيه إثماً، والثانية تراه إثماً كبيراً. والحاكم لا يأثم إذا حكم فيه بموجب الأصل الشرعى القاضى باختيار أهون الضررين، بل هو مأجور؛ لأنه يرفع العنت عن المسلمين.

لقد كان بهائي أفندي عالماً ذا طبع سليم، وذهن قويم، ولولا أنه ابتلى بالدخان، لكان من جهابذة الروم، فسبحان من له الكمال! لقد كان صاحب ملكة فى الاستخراج، ومهارة فى كل شيء بقوة الطبع. وكل من وقف على حاله، دعا له بالرحمة، فرحمة الله عليه؛ لأنه لم يأت مفت مثله، بعد عبدالرحيم أفندي. [57]

56 – يقصد الشيوخ الذين كانوا مشهورين بكتابة الحواشى على المتون القديمة.

57 – عبد الرحيم افندى (... – ١٦٥٦م) هو شيخ الإسلام الحادى والثلاثون فى الدولة العثمانية. ولد فى آدنه وتلقى بها تعليمه الأولى، ثم عمل مدرساً فى السليمانية، ومدرسة السلطان أحمد للحديث. ثم عمل قاضياً، ثم قاضياً للعسكر بالأناضول، ثم صار شيخاً للإسلام =

## توضيح

إن قيل :هل يكون الشيء الواحد مباحاً ومكروهاً وحراماً؟ أليس فى ذلك تناقض؟ نقول إن شرط ثبوت التناقض يكون باعتبار وجه الاختلاف، كما جاء فى كتب المنطق. ولنضرب لذلك مثلاً بأكل البقلاوة، فأكلها حلال، لكن أكلها بعد الشبع مكروه؛ لأنه ضار.

والخلاصة، أن الأنفع لحكام المسلمين، هو رفع سعر ورق الدخان فى كل أنحاء الدولة العثمانية، وتعيين من يقومون على ضبط تلك التسعيرة، بحيث يكون ثمن الأوقية نصف قرش ميرى، وأن يمنع بيعه فى الشوارع، ويخصص مكان لبيعه فى كل مدينة، فتكون غلة محصوله كل عام ألف مثقال آقجه.

لما تشدد السلطان مراد، ومنع الدخان، لم يجرؤ الناس على شربه بواسطة الغليون، ودفعهم تعلقهم به إلى طحن أوراقه، وشمها بأنوفهم، وظلوا كذلك حتى رفع الحظر عن الدخان. فلما صار مباحاً، أعرض كثير من أهل الورع عنه، وأقلعوا عن تدخينه. ومن الحماقة قول القائل:

انفخ سحائب الدخان على مهل

فهو بكرمه يغطى نهار العقل

وكذلك قول أحد المبتلين به :

"إن للدخان لذة لاتوجد فى الشهد والسكر"

والخلاصة هى عدم التعرض لأحد فى هذا الموضوع.

---

=

فى ٢٥/٤/١٦١٧م - ١٠٥٧هـ، لمدة سنتين وثلاثة عشر يوماً. توفى فى السادس من فبراير سنة ١٦٥٦م/١٠٦٦هـ.

- Abdülkadır Altunsu: a. g. e. S. 71-72.

## المبحث السادس : القهوة

تلك مسألة اختلف فيها السلف. وأصلها أن القهوة ظهرت فى اليمن، ثم انتشرت فى العالم مثل الدخان. وكان بعض المشايخ يسكنون جبال اليمن، ويقتات فقراؤهم على حبوب شجر يسمونه (القلب)[٥٨] والبن، وبعضهم كان يغليه ويشرب ماءه. وقد راج بين أهل اليمن أنه موافق للرياضة والسلوك، وأنه كغذاء بارد أو يابس، مناسب لكسر الشهوة؛ ولهذا انتشر بين المتصوفة.

ولما حملته المراكب إلى بلاد الروم، سنة ٩٥٠هـ تقريباً، حدث إنكار عظيم له، وصدرت فتوى بتحريمه، وقيل إن شرب القهوة فى البيوت والنوادى، تشبُّه بأهل الفسق. وروى أن (أبو السعود أفندي)[٥٩]، أفتى بخرق

---

58 – لا أدرى هل يوجد فى اليمن شجر اسمه القلب، أم هو خطأ من النساخ فى كتابة كلمة قنب، فكتبوها قلب.

59 – أبو السعود افندى :هو محمد أبو السعود افندى المفتى بن مولانا محيى الدين محمد بن مولانا مصلح الدين مصطفى بن مولانا عماد الدين العمادى. ولد فى اسكليب فى١٧ صفر سنة ٨٩٦هـ. ووالدته بنت أخى العلامة على القوشجى. كان والده من أكابر علماء الظاهر والباطن، من أهل الكشف والكرامات. تربى فى حجر والده مرتضعاً ثدى الكمالات من مهد العلوم، فحفظه والده فى سن الصبا كتباً بظهر الغيب، منها: مفتاح العلوم للسكاكى. ثم اشتغل ببقية العلوم والفنون، حتى امتاز فى صغره، على كبار أقرانه بفصاحة العرب. ثم تتلمذ للعلامة سيدى افندى قاضى العسكر، ثم للعلامة عبدالرحمن المؤيد قاضى العسكر. وتولى التدريس فى مدارس كثيرة، ثم تولى قضاء بروسه، ثم قضاء استانبول، ثم قضاء العسكر سنة ٩٤٤هـ، ثم تولى منصب الإفتاء سنة ٩٥٢هـ. توفى رحمه الله فى جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ. له مصنفات كثيرة منها:

– تفسير القرآن الكريم المعروف بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، – فتاوى أبى السعود افندى، – تعليقات على الهداية، – رسالة فى صحة وقف الدراهم والدنانير

انظر :

– عاشق چلبى: ذيل الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، تحقيق:عبد الرازق بركات، =

السفن التي تحمله، وإفراغ حمولتها في البحر. لكن ذلك التشدد لم يجد نفعاً، فقد أصم الناس آذانهم عن تلك الفتاوى والخطب، وأقاموا كثيراً من المقاهي، وأخذوا يحتسون القهوة فيها بلذة عظيمة؛ خصوصاً أن أرباب المزاج، وجدوها تنعش أمزجتهم، لدرجة أنهم كانوا على استعداد للتضحية بأرواحهم من أجل فنجان من القهوة يجلب لهم السرور.

ثم جاء من بعد ذلك مفتون، أفتوا بجواز شرب القهوة، منهم المفتي بستان زاده[٦٠]، الذي أصدر فتوى مفصلة في القهوة، نظمها شعراً. أما المقاهي فقد ظلت عدة سنوات بين المنع والترخيص. وبعد سنة ألف رفع الحظر عن القهوة، وصارت تشرب في كل مكان، وافتتحت المقاهي في نواصي الشوارع، وكثر فيها العازفون، والمطربون، فأقبل عليها الناس، وانصرفوا عن أعمالهم، مما أدى إلى البطالة والفقر والصراع الاجتماعي والتسول. فلما رأى السلطان مراد خان ذلك، أصدر في نهاية سنة ١٠٤٢هـ، فرماناً بإغلاق جميع المقاهي في جميع أنحاء الدولة؛ حرصاً على مصلحة الأمة. فصارت المقاهي منذ ذلك

---

=

ص ص ١٢٨ – ١٣٥، دار الهداية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧.

– منق (علي بن بالي بن محمد): العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ص ص ٤٤٠-٤٤٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥.

60 – بستان زاده : هو بستان زاده محمد چلبي افندي(١٥٣٥ – ١٥٩٨م) هو شيخ الإسلام العشرون في الدولة العثمانية. تعلم على يد ابن عرب، وقاضي زاده، ثم عمل بالتدريس في مدارس عدة. وبعد ذلك عمل قاضياً باستانبول، ثم قاضي عسكر الأناضول، ثم قاضي عسكر الروملي، ثم عزل، ثم تولى قضاء مصر لمدة ثلاث سنوات، ثم تقاعد بعدها، وعاد إلى استانبول. ثم عين شيخاً للإسلام سنة ٩٧٧هـ، وظل بالمشيخة ثلاث سنوات، ثم عزل. كان يجيد العربية والفارسية والتركية، وله شعر بتلك اللغات الثلاث. له تصانيف كثيرة، منها :

– شرح الملتقى، – ترجمة إحياء علوم الدين للغزالي. انظر :

- Abdülkadır Altunsu: a. g. e. S. 43 – 44

التاريخ خراباً مثل قلب الجاهل، وتحول أكثرها إلى دكاكين، وبعضها أبقاه أصحابه مغلقاً على أمل افتتاحه فيما بعد. ثم أعاد الناس افتتاح المقاهى مرة أخرى فى جميع المدن ما عدا استانبول. وهذا يؤيد ماذكرناه آنفاً من رفض دعوى المنع المؤبد. والآن نتحدث عن صفة القهوة :

لا شك أن القهوة تجمع بين البرودة واليبوسة. ويذكر داود الأنطاكى فى تذكرته، أن القول بأن القهوة تجمع بين البرودة واليبوسة، أمر غير مؤكد، وأنها عند شربها بالماء المغلى لاتزيل البرودة، بل ربما تزيدها؛ لأن الماء بارد، ومن ثم فهى تدفع العطش. وإذا صبت القهوة على عضو، فإنها لا تحرقه؛ لأن حرارتها لا تأثير لها. أما يبوستها ففيها قدر من الفتور، فمثلاً تقل يبوستها درجة إذا مزجت بشىء رطب بارد فى الدرجة الثانية، وهى فى الدرجة الثالثة من اليبوسة، وتحتفظ بيبوستها فى الدرجة الثانية. ويبوستها تدفع النوم، وهى مدرة للبول بحسب المزاج، فأصحاب المزاج اليابس – خصوصاً أصحاب المزاج السوداوى – لا تناسبهم القهوة على الأرجح، وإذا أكثروا من شربها، تسبب لهم الأرق والوسواس، ويفضل لهم شربها بالسكر. أما أصحاب المزاج الرطب – خصوصاً من النساء – فإنها مناسبة لهم جداً، ولهم أن يكثروا من شرب القهوة الثقيلة.

## المبحث السابع: الحشيش والأفيون وسائر المخدرات

هذا كلام فى أمر النفس، يترعج منه المبتلون بالمخدرات. والكلام الحق، والقول الفصل فى ذلك، هو أنه لا يجوز تغيير الفطرة السليمة، التى هى أصل الخلقة، والأوفق لحال الإنسان، والأليق بشأنه. وما دام الحشيش والأفيون

والمخدرات الأخرى، لا تستخدم كدواء، فإنه لا يجوز تحويلها من دواء إلى غذاء؛ لأن طبيعتها ثابتة منذ القدم. وإذا اقتضت الضرورة استخدامها كغذاء ودواء، فإنها لا توافق قانون العلاج.

أما القول بأنها مجرد كيف، ولايبقى منها شيء فى الدم، فالواقع أنها بكثرة تعاطيها، تتحول إلى إدمان لا يمكن التخلص منه فيما بعد. وتصبح عادة تظل تجلب لصاحبها الشقاء مادام حياً، وكلما تقدمت به السن، صارت له هيئة مزرية، حتى يلقى مطروحاً بجوار سور كنيسة. وما تمكنت المخدرات من أحد، إلا أتت عليه، فتضعف قوته وحواسه، وتغيب وعيه، وتجعله مترنحاً بين النائم واليقظان. وهل هناك غدر بالنفس، أعظم من غدر من يصل إلى تلك الحال باختياره؟ ومن تيسر له الاهتداء إلى سبيل للخلاص من ذلك، فقد اغتنم فرصة عظيمة. وأما من لم يتيسر له ذلك، فهو هالك هالك.

ومن الناحية الشرعية، فإنه لا يجب ترك مثل هذا المبتلى، كما أنه من الخطأ والحماقة ايذاؤه. وفصل القول هو أنه يجب المداومة على إيقاظه من غفلته، ولايصح أن نسمعه فى نصيحتنا له مايحبطه، من قبيل: "يا من تحب النجاة اهدم المنهدم" أو " اعط أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة".

## المبحث الثامن : والدا رسول الله صلى الله عليه وسلم[61]

كتبت هذا المبحث، وأنا أغالب الحياء؛ ذلك أن طائفة من المتنطعين يزعمون أنه لا يجوز بحث تلك المسألة؛ لأنها – معاذ الله – تمس مقام رسول

---

61 – سقط هذا المبحث فى طبعة (أبو الضيا)، ولعله أسقطه متعمداً؛ مخافة أن يكون فى نشره إساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الله صلى الله عليه وسلم. والحق، أنها مسألة محظورة على غير الراسخين فى العلم، أما العلماء؛ فسد باب البحث فيها أمامهم، مغالطة. هؤلاء المانعون، لا خبر لهم بعلم السؤال والجواب، والبحث فى كل باب حسب الأصول. وكأنى بهم لا علم لهم بالأبحاث الشائكة الكثيرة عن ذات الله – عز وجل – وصفاته. فهذا هو العلامة سعد الدين التفتازانى، يقول فى كتاب "شرح العقائد"، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٦٢] تلك الآية المعروفة بأنها برهان على وحدانية الله: "هذا دليل إقناعى، وليس دليلاً قطعياً على الوحدانية"، فوثب عليه كثير من العلماء، ومنهم من قال بكفره، ومال إلى رأيه بعض المحققين، وكتبوا أبحاثاً كثيرة فى الدفاع عنه.

وكما لم يخل عصر من حروب بالسيوف والسنان، فإنه كذلك لم يخل من حروب بالقلم واللسان. ومن ثم فالقائل بأنه لا يجوز البحث فى مثل تلك الأمور، هو متهافت أحمق، لا ينبغى له أن يتعرض للبحث؛ حتى لا تدوسه الأقدام فى حلبة الجدال، وتذهب عزته فى المناظرة.

والآن ندخل فى الموضوع فنقول: إن ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كانت سنة ٨٨١ بتاريخ الإسكندر، وسنة ٥٧٨ من ميلاد المسيح عليه السلام. وقد خرج والده عبد الله بن عبد المطلب فى قافلة من مكة إلى غزة، وتوفى بالمدينة فى طريق عودته، وفى رواية بين مكة والمدينة، وتوفى عن خمس وعشرين أو ثلاثين سنة، فهناك أقوال فى تاريخ وفاته. ويتفق أكثر المؤرخين على أن ولادته صلى الله عليه وسلم، كانت بعد وفاة أبيه. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن وفاة أبيه كانت وسنه صلى الله عليه وسلم تتراوح بين

---

62 – سورة الأنبياء، آية ٢٢.

شهرين وثمانية وعشرين شهراً، أو عامين على الأرجح. ووالدته هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف، توفيت بعد زوجها، بعد أربع سنوات، أو ست سنوات من ميلاده صلى الله عليه وسلم.

كان الزمان زمان جاهلية وفترة. ومن المتواتر، أنه عندما بعث صلى الله عليه وسلم، كان قد مضى على وفاة والدته، أكثر من ثلاثين سنة على الأقل. والآن نطرح ما أثاره المجادلون فى تلك المسألة، فى صورة سؤال وجواب :

سؤال: هل يلزم أن يكون والدا الأنبياء وأولادهم مؤمنين؟

الجواب: لا يلزم. فوالد سيدنا إبراهيم عليه السلام آزر أو تارخ، كما يسميه بعض أهل التواريخ، كان كافراً، وكنعان بن سيدنا نوح عليه السلام كان كافراً أيضاً. وهنا ينبغى أن نعلم الفرق بين الجائز والواجب والمستحب للأنبياء عليهم السلام، وبعد ذلك لا مجال للمكابرة. فقد حسم الحق تلك المسألة فى كتابه الكريم فى قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾[63]؛ إظهاراً لقدرته التامة، وإبراماً لحكمته البالغة. وهنا يلزم التأكيد على أن النبوة عطية إلهية عظيمة، لا مجال لطعن النسب والشرف فيها، فهى شرف عظيم، لا يدانيه أى شرف.

سؤال: ما القول فيمن مات فى زمن الفترة قبل البعثة؟

الجواب: اختلف الأئمة فى شأنهم، فقد احتج الأشاعرة من المتكلمين، والشافعية من الأصوليين، بقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[64] فقالوا إنهم معذورون ولن يعذبوا. أما الماتريدية، والحنفية فقالوا إنهم معاتبون على

---

63 – سورة الروم، آية ١٩.

64 – سورة الإسراء، آية ١٥.

تفريطهم؛ لأن توحيد الله ممكن عن طريق النظر والاستدلال. وقد ورد فى بعض الأخبار أنه ستكون هناك أعذار كثيرة يوم القيامة؛ فالعذر عند الله مقبول. والحساب يوم القيامة، يميز الشقى من السعيد، بمعنى أن الحق عز وجل سيأمر بإحضارهم، وإلقائهم فى جهنم، أما السعداء فلا يترددون، فينجون، وأما الأشقياء فيحجمون، ويعصون الأمر، فيلقون فى جهنم لمخالفتهم.

سؤال: أليس الإمام الأعظم، هو صاحب كتاب الفقه الأكبر[٦٥] ؟

الجواب: بلى، هذا ثابت فى كتب المناقب والرواية التى رواها أصحاب الدراية عن الإمام، ومنهم على سبيل المثال الإمام أبو مطيع البلخى[٦٦]، المتوفى سنة ١٩٩هـ. فقد جاء فى كتاب "طبقات الحنفية" أنه روى الفقه الأكبر عن الإمام الأعظم، كما جاء فى "تقويم التواريخ"[٦٧] – مع سهو فى تاريخ وفاته صححته فيما بعد – أن "أبو مطيع البلخى" هو صاحب الفقه الأكبر. وقد

---

65 – الفقه الأكبر : هو من تأليف الإمام الأعظم أبى حنيفة نعمان بن ثابت الكوفى المتوفى سنة ١٥٠ هـ، رواه عنه أبو مطيع البلخى، واعتنى به جماعة من العلماء، فشرحه غير واحد من الفضلاء، منهم محيى الدين محمد بن بهاء الدين المتوفى سنة ٩٥٦هـ، شرحاً جمع فيه بين الكلام والتصوف، وأتقن المسائل وأوضحها غاية الإيضاح وسماه "القول الفصل". ومنهم المولى إلياس بن إبراهيم السينوبى المتوفى ببروسه سنة ٨٩١هـ، والمولى أحمد بن محمد المغنيساوى.. ونظمه أبو البقاء الأحمدى فى ٢٣ رمضان سنة ٩١٨هـ، وسماه "عقد الجوهر نظم نثر الفقه الأكبر". ونظمه إبراهيم بن حسام الكرميانى المعروف بشريفى المتوفى سنة ١٠١٦هـ، وشرحه مولانا على القارى فى مجلد سماه"منح الروض الأزهر"، وشرحه الشيخ أكمل الدين، وسماه "الإرشاد".

– كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص ١٢٨٧.

66 – أبو مطيع البلخى :أحد تلاميذ الإمام أبى حنيفة النعمان، روى عنه كتاب الفقه الأكبر، توفى سنة ١٩٩هـ.

67 – تقويم التواريخ : أحد مؤلفات كاتب چلبى، طبع سنة ١٧٧٣م.

رأيت أحد الوعاظ فى مدينتنا، يذهب فى تلك المسألة مذهب المتعصبين الداعين إلى إنكار كتاب الفقه الأكبر، فحاججته بالحجة القوية، فطلب إلىَ نقل التصحيح، فكتبت له موضع النقل عن الطبقات وأعطيته له.

ثم جاء كثير من الأفاضل من المتقدمين والمتأخرين الذين شرحوا ماقاله الأمام الأعظم، ومنهم قدوة الفضلاء والسالكين الشيخ محمد بهاء الدين[٦٨]، ذلك العالم الذى شرح كتاب الفقه الأكبر بهدف إعادة إحياء العقيدة الإسلامية، بعد اعتزاله للعبادة مدة ثلاثين سنة، وهو والد محمد أفندي البركوى[٦٩]، وابن عم بير على أفندي[٧٠]. فقد استحسن ذلك الشيخ كتاب الفقه الأكبر، وأثنى عليه، وشرحه شرحاً مفيداً، وهو الآن متداول ومقبول بين العلماء. وقال إن القول بأنه ليس للإمام الأعظم، قول باطل، ودعوى بلا برهان، ولدها التعصب.

سؤال: لماذا قال الإمام الأعظم فى الفقه الأكبر إن والدى الرسول صلى الله عليه وسلم، ماتا على الكفر؟

الجواب: قال الشيخ بهاء الدين، إن غلو بعض الناس فى نفى كفر والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان سبباً فى إدراج تلك المسألة فى العقائد

---

68 – الشيخ محمد بهاء الدين : هو محيى الدين محمد بهاء الدين، المتوفى سنة ٩٥٣ أو ٩٥٦هـــ، وهو أحد شراح كتاب الفقه الأكبر.

69 – محمد افندى البركوى : انظر ترجمته فى المبحث العشرين، ضمن هذا الكتاب.

70 – بير على افندى :هو محمد عطاء الله بن يحيى بن بير على بن نصوح المتخلص بعطائى المعروف بنوعى زاده الرومى الحنفى. ولد سنة ٩٩١، وتوفى سنة ١٠٤٤هـــ. من تصانيفه : – حدائق الحقائق فى تكملة الشقائق، – خمسه عطائى، – القول الحسن فى جواب القول لمن (فى الفروع)، – ديوان شعر

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين، ج٢، ص ٢٧٧.

الدينية، وذلك الغلو ليس من الإسلام فى شىء. ولدفع ذلك الإفراط فى والدى الرسول، والتفريط فى أصول الدين، أثارها الإمام الأعظم فى الفقه الأكبر. وقد ذكر الإمام الفخر الرازى، فى "التفسير الكبير"[71]، أن الروافض، قد بالغوا فى تلك المسألة؛ بدعوى عصمة أهل البيت، ثم تبعهم فى ذلك كثير من أهل السنة فيما بعد.

سؤال : ماهو حكم الكفر؟

الجواب : الكفر والإيمان من الأمور الباطنية، التى لا يطلع عليها إلا الله تعالى. غير أن لكل منهما أمارات يعرف بها فى الظاهر. وقد تخالف الأمارات المدلولات، فالمنافق مثلاً نحكم عليه فى الظاهر أنه من المؤمنين. وعليه فإنه لا مجال للقطع والجزم بإيمان أحد أو كفره عند وفاته، إلا إذا ورد نص بشأنه. ذلك أن بعض أهل الإيمان قد يبتلى بسوء الخاتمة، ويموت كافراً، وبعض أهل الكفر، قد يكتب له حسن الخاتمة، ويموت مؤمناً. فالكفر والإيمان مستوران فى القلب.

لكن حكم الشرع، أن الظاهر هو الذى يعول عليه، فمن مات مؤمناً فى ظاهر حاله، جرت عليه أحكام الإيمان، ومن مات كافراً فى ظاهر حاله، جرت عليه أحكام الكفر. لكنه ليس هناك تلازم بين الإيمان والكفر الحقيقى والحكمى.

ومن ثم، فالكفر الحكمى ثابت فى شأن والدى رسول الله صلى الله عليه

---

71. – التفسير الكبير: هو تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ.. قال عنه ابن خلكان إنه جمع فيه كل غريب، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله. وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولى(ت ٧٢٧هـ) تكملة له. وأكمل ما نقص فيه أيضاً قاضى القضاة شهاب الدين بن خليل الخويى الدمشقى المتوفى سنة ٦٣٩هـ. واختصره برهان الدين محمد بن محمد النسفى المتوفى سنة ٦٨٧هـ، وسماه الواضح. ولخصه أيضاً محمد بن القاضى اياثلوغ، وألحق به بعض الفوائد..

انظر : – كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص ١٧٥٦.

وسلم، والإيمان الحقيقى يلزمه نص يقينى. ومادام لم يرد فى شأنهما نص، يبقى الكفر الحكمى قائماً، وهذا هو رأى الشيخ بهاء الدين. أما الشيخ على المقدسى[٧٢]، علامة مصر، وفريد العصر، فقد قال فى رسالته "لقد ذكر المفسرون وجهين فى تفسير سبب نزول قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٧٣]، أولهما، أنها نزلت فى حق والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا مذهب أغلب المفسرين والمحدثين، ومنهم ابن عباس، الذى روى ذلك عنه حتى صار متواتراً. وهذا ما جعل الإمام فخر الرازى، وغيره من المحققين المتأخرين يقدمون هذا الوجه. وثانيهما، أنها نزلت فى حق أبى طالب، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد فند العلامة جار الله[٧٤]،

---

72 – الشيخ على المقدسى : هو على بن محمد بن خليل بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى المعروف بابن غانم المقدسى نور الدين الحنفى، نزيل القاهرة. ولد سنة ٩٢٠هـ، وتوفي سنة ١٠٠٤هـ. من تصانيفه: – كنز الدقائق فى الفروع، – البديعة المهمة فى بيان نقض القسمة، – بغية المرتاد لتصحيح الضاد، – تعليقة على الأشباه والنظائر لابن نجيم فى الفروع، – حاشية على القاموس للفيروزابادى، – رسالة فى الوقف، – شرح منظومة ابن وهبان فى الفروع، – الفائق فى اللفظ الرائق فى الحديث.

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين، ج١، ص ٧٥٠.

73 – سورة التوبة، آية ١١٣.

74 – العلامة جار الله: هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر الأديب النحوى اللغوى الفقيه الشافعى الشهير بالزمخشرى. ولد سنة ٤٦٧هـ، وتوفى بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨هـ. من تصانيفه: – أساس البلاغة، – أساس التقديس، – أسرار المواضع، – أطواق الذهب، – أعجب العجب شرح لامية العرب، – جواهر اللغة، – خصائص العشرة الكرام البررة، – ديوان التمثل، – ديوان الرسائل، – الرسالة المبكية، – الرسالة الناصحة، – رؤوس المسائل فى الفقه، – شرح كتاب سيبويه، – شرح مختصر القدورى فى فروع الحنفية، – الكشاف عن حقائق التنزيل، – متشابه أسامى الرواة، – مقدمة الأدب.. وغيرها.

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين، ج٢، ص ٤٠٢ – ٤٠٣.

هذا الوجه. لكن شيخ العربية عبد القاهر الجرجانى[75]، يرى أنه فى حالة ثبوت الروايات المختلفة بالنقل عن الثقات، فإنه يجب الجمع بين الوجهين، ما أمكن. والآية الكريمة، وإن كانت قد نزلت فى شخص، فإن معناها عام بالإجماع، إذ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. كما أن لفظ "المشركين" و"أولوا القربى" عام، ويشمل أباه وأمه وعمه، وسائر أقاربه "صلى الله عليه وسلم".

ويذكر الشيخ على المقدسى، أن من يزعم صدق الحديث المروى عن إحياء والدى الرسول، وإيمانهما، فكأنه يقطع بنسخ الآية الكريمة، والنسخ فى الإنشاء والأحكام وليس فى الأخبار. كما ذهب هذا المذهب أيضا صاحب الملتقى[76]، فجزم بأن الآية الكريمة تجرح حديث الإحياء.

---

75 – عبد القاهر الجرجانى (... – ٤٧١هـ /١٠٧٨م) : هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى، أبو بكر، واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من كتبه :

– أسرار البلاغة، – دلائل الإعجاز، – التتمة، – المغنى فى شرح الإيضاح، – إعجاز القرآن، – العمدة ، انظر : – خير الدين الزركلى: الأعلام، ج٤، ص ٢١٤٧.

76 – الملتقى :لم يحدد كاتب چلبى من يقصد بصاحب الملتقى؛ فهناك أكثر من كتاب من كتب التراث تحت هذا الاسم، منها :

– ملتقى الأبحر فى فروع الحنفية، للشيخ الإمام إبراهيم بن محمد الحلبى المتوفى سنة ٩٥٦هـ.

– ملتقى الأحكام، للشيخ عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى المتوفى سنة ٦٥٢هـ.

– ملتقى البحار فى الفروع لمحمد الزوزنى السديدى.

– ملتقى البحرين فى الجمع بين كلام الشيخين، للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمى المتوفى سنة ٦٧٠هـ.

– ملتقى البحرين فى التفسير، للشيخ علاء الدين على بن محمد المعروف بمصنفك المتوفى سنة ٨٧٥هـ.

– ملتقى البحار فى الفروع، للشيخ شمس الدين محمد بن محمد القونوى المتوفى سنة ٧٨٨هـ.

انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص ص ١٨١٣ – ١٨١٤ – ١٨١٥ – ١٨١٦.

سؤال: ما حجة المخالفين فى تلك المسألة؟

الجواب: لقد ذكر الإمام القرطبى فى التذكرة[77] الأقوال الواردة فى تلك المسألة، ورأى أنها تتسم بالتضارب فى التحقيق والجمع والتدقيق، وأن الذى رواه السيوطى[78] مجرد روايات منقولة، وجميع الرسائل المتعلقة بهذه المسألة، تفتقر إلى التحقيق، وتعتمد على النقل والتقليد، وقسم منها كتبه أهل التعصب، دون تأمل وتدبر، فجانبه الصواب. وأكثرها كان نقلاً لأقوال مرسلة، تعتمد على حسن الظن، والتأدب، كما فعل المرحوم كمال باشا زاده

---

77 – القرطبى وتذكرته:هو الشيخ المحقق شمس الدين محمد بن أحمد بن فرح الأنصارى الأندلسى المتوفى سنة ٦٧١هـ. له تصانيف كثيرة منها(التذكرة) وهو كتاب مشهورجمع فيه من كتب الأخبار والآثار مايتعلق بذكر الموت والموتى والحشر والجنة والنار والفتن والأشراط، وبوبه أبواباً، وجعل عقب كل باب فصلاً يذكر فيه مايحتاج إليه من بيان غريب، وإيضاح مشكل، وسماه التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.

انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص ٢٨٧.

78 – جلال الدين السيوطى (٨٤٩ – ٩١١هـ /١٤٤٥ – ١٥٠٥م): هو الحافظ جلال الدين أبوالفضل عبد الرحمن بن الكمال بن أبى بكر الأسيوطى الشافعى. ولد فى القاهرة، ونشأ بها يتيماً. كان أبوه عالماً فى النحو والصرف، وكان يدرس الفقه فى المدرسة الشيخونية، وقد توفى وجلال الدين فى السادسة من عمره، فكفله صديق لأبيه من الصوفية. تلقى العلم على أبرز علماء عصره، وارتحل فى طلبه إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب. شرع فى التأليف وهو فى السابعة عشرة من عمره، وتولى التدريس بالمدرسة الشيخونية، ثم بالمدرسة البيبرسية، ثم اعتكف فى بيته على النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً، وتجرد للعبادة والتأليف. له تصانيف أكثر من أن تحصى فى العلوم الدينية واللغوية، أشهرها : – الإتقان فى علوم القرآن، – تفسير الجلالين، – لباب العقول فى أسباب النزول، – جامع الجوامع، – جمان القرآن فى تفسير المسند، – طبقات الحفاظ، – طبقات المفسرين، – حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، – المزهر فى علوم اللغة، – الأشباه والنظائر... وغيرها كثير.

انظر : – موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، إعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج١٣، ص ص ٦٥٤ – ٦٥٧، ط١، دار الجيل، ٢٠٠٧.

أفندي. [٧٩]، وكلها لا تخلو من وجه.

سؤال: ما القول الأرجح فى تلك المسألة؟

الجواب: إن الذين يعلمون وجه الصواب فى تلك المسألة، هم المحققون القادرون على معرفة أصل الخلاف بين أساطين العلماء فيها، المعبرون عن آرائهم بحرية. أما عامة المسلمين، فيجب عليهم عدم الخوض فى تلك المسألة، والإمساك عن الكلام فيها. فإن خاضوا فيها، فليأخذوا بالروايات المبنية على حسن الظن، القائلة بإيمان والدى رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وعليهم التزام الأدب، وعدم إطلاق اسم الكافر عليهما؛ لأن تلك الكلمة إن كانت بقصد الإهانة، فهى إثم كبير. وقد أفتى ابن قدامة[٨٠]، وهو من فقهاء الحنابلة،

79 – كمال باشا :هو الشيخ شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، كان جده من أمراء الدولة العثمانية. التحق فى صدر شبابه بزمرة أهل العسكر، وتدرج فى رتب الجيش. ثم اتفق له أن رأى واقعة فى مجلس الوزير الأعظم إبراهيم باشا بن خليل باشا، إذ دخل عليه عالم رث الهيئة، خلق الثياب، فقدمه على كل من عنده من الأمراء. وكانت تلك الواقعة سبباً فى تغيير حياته، فترك الجيش، وأقبل على طلب العلم، وتخلف إلى علماء عصره مثل القسطلانى وخطيب زاده ومعروف زاده. ثم صار مدرساً بمدارس عديدة، ثم قاضى عسكر الأناضول، ثم مفتياً بمدينة استانبول، ومات وهو مفت سنة ٩٤٠هـ. له تصانيف كثيرة منها : – شرح الهداية، – حاشية على الكشاف، – الإصلاح والإيضاح، – تغيير التنقيح، – تجريد التجريد، – حاشية على شرح المفتاح... وغيرها.

انظر: – طاشكبرى زاده : الشقائق النعمانية، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

80 – ابن قدامة :هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى. ولد بجماعيل من أعمال نابلس بفلسطين فى شعبان سنة ٥٤١هـ، وهاجر مع أسرته إلى دمشق، واشتغل فى صغره بحفظ القرآن الكريم، ومبادىء العلوم، ومتون الفقه. واجتهد فى طلب العلم والأخذ عن مشايخ الشام حتى بلغ العشرين من عمره، فسافر إلى بغداد، وتلقى بها العلم على يد كبار علمائها، مثل الشيخ عبدالقادر الجيلانى، والشيخ أبى الفتح نصر بن فتيان الشهير بابن المنى. توفى عام ٦٢٠هـ. من تصانيفه : – المغنى، – الكافى فى فقه =

بقتل من يسب والدى الرسول صلى الله عليه وسلم. والأرجح هو عدم الخوض فى تلك المسألة، هذا للعوام، وليس للخواص.

## المبحث التاسع : إيمان فرعون

فرعون لقب كان يطلق على ملوك مصر القدماء. وفرعون الظالم الذى كان فى زمان موسى عليه السلام، يسميه مؤرخو الإسلام (وليد) ويميزونه من غيره بقولهم (فرعون موسى). وهو الفرعون الثالث أو السابع من الفراعنة، وهو كبيرهم وآخرهم، وقصته مشهورة فى التواريخ والسير. فقد سام بنى إسرائيل أشد العذاب، وعاش اليهود فى عهده فى شقاء. وهو مشهور عند المسلمين بالجبروت، وادعاء الألوهية؛ حتى إنهم يشبهون كل طاغية بفرعون.

وتجمع كل التفاسير وكتب التاريخ، على وصمه بالكفر والضلال، ويتفق على ذلك الجمهور. ثم جاء الشيخ محيى الدين بن عربى[81]، وذكر فى كتابه "فصوص الحكم" – معتمداً على الكشف والوجدان – أن فرعون آمن، وكتبت له النجاة. ورأى أن قوله تعالى ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[82]، نص صريح على إيمان فرعون؛ ذلك أن حالة

---

الإمام أحمد بن حنبل، – روضة الناظر، – ذم ماعليه مدعو التصوف، – التبيين فى أنساب القرشيين، – العمرة، – البرهان فى مسائل القرآن

انظر : – ابن قدامة المقدسى:الكافى فى فقه الإمام أحمد ابن حنبل، ص ٥-٦، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

81 – ستأتى ترجمة الشيخ محيى الدين بن عربى، فى مبحث "الاختلاف فى الشيخ محيى الدين بن عربى" ضمن هذا الكتاب.

82 – سورة يونس، آية ٩٠.

الغرق ليست مثل حالة الاحتضار، إنها إيمان اليائس. ثم إن قوله تعالى ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[83] يعد عتاباً على تأخير الإيمان، وليس دليلاً على عدم قبوله. كما أن قوله تعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾[84] لا يقطع بكفره؛ لأن آية ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[85] تنص على نجاته، ومعناها أننا ننجيك اليوم ببدنك بإلقائك على الساحل، وننجي روحك فى الآخرة، حتى تكون لمن خلفك آية عظيمة على قدرتى.

وبعدما أدار ابن عربى كلامه عن وجوب عدم اليأس من رحمة الله، قال "والأمر فيه إلى الله، لما استقر فى نفوس عامة الخلق من شقائه، وماهم فى ذلك نص يستندون عليه. "

ويقول شارح الفصوص، إن الشيخ [ابن عربى] وارث محمدى كامل، والورثة الكاملون، يوردون النصوص فى صورة الاستدلال، بعد الاطلاع على حقيقة الحال، ومن هنا يأتى الاعتقاد بأن الشيخ مجتهد ومستدل. ولهذا قال بعض شارحى الفصوص إن الشيخ مأمور ومعذور، وادعى بعض العلماء أن رأى الشيخ فى فرعون دسيسة دسها عليه يهودى. والخلاصة أن هذه المسألة جعلت الشيخ بين حاذف وقاذف. لكن معارضى الشيخ لم يجدوا سنداً قطعياً يقينياً على عدم إيمان فرعون، ومع ذلك فالمشهور بين الناس أنه من الذين شقوا.

إن ما كتبه الشيخ فى الفصوص، وهو فى حالة الكشف، انتهى إليه أيضاً، عن

---

83 – سورة يونس، آية ٩١.

84 – سورة هود، آية ٩٨.

85 – سورة يونس، آية ٩٢.

طريق النظر والاستدلال، ودونه فى رسالة مستقله، أحد المحققين، هو العلامة جلال الدوانى، الذى أثبت بالاستدلال من النصوص، حسب القواعد والأصول، صحة ما ادعاه الشيخ. والناس فيما كتبه بين مادح وقادح حتى الآن.

والخلاصة أنه يجب فى البداية، الانتباه إلى الفرق بين طريق النظر، وطريق الكشف. فطريق النظر يقوم على الاستدلال بالأدلة النقلية والعقلية، وطريق الكشف يعتمد على الرياضة والسلوك، والكشف والشهود. ولكل منهما اصطلاحاته الخاصة التى يجب مراعاها؛ حتى لا يقع التشويش والخلط فى المسائل. ولاشك أن هذه المسألة، هى مبدأ النزاع والجدال، ومنشأ القيل والقال. فأصحاب النظر والاستدلال، يغمزون أصحاب طريق الكشف، ويقولون إن طريقهم لا حظ له من النظر والاستدلال، وعماده الوجد والكشف، واصطلاحاهم مأخوذة من فلسفة الإشراق.

غير أن طريق الوجد والكشف، وإن لم يكن له دليل من الشرع، ولا تثبت له دعوى فى طريق النظر، فإنه حجة لأصحابه؛ ذلك أن كشف أولياء الله، وإلهامهم، حجة لهم، وهذا أمر ثابت حتى عن طريق النظر. ومن ثم فإنه لا تعارض بين ماهو ثابت عن طريق النظر والاستدلال، وماهو ثابت عن طريق الوجد والكشف. وإن كان الأولى هو الالتزام بأصول طريق النظر والاستدلال.

إن المعترضين على رأى الشيخ، يؤسسون اعتراضهم على أصول النظر والاستدلال؛ لأن ما ذهب إليه محدثة لم يقل بها أحد من قبل. غير أن الدوانى أقام كلامه على أصول طريق النظر. أو ليس من الحماقة الجدال مع عالم بلغ تلك المرتبة؟ وهل لأحد أن يمنع رحمة الله تعالى عن خلقه؟ أى ضرر فى إيمان فرعون؟ وأى فائدة فى كفره؟ ليس ببعيد أن يكون اليهود وراء تلك الدعوى

بدافع الانتقام؛ ذلك أن آباءهم وأجدادهم تعرضوا لظلم فرعون الشديد. ذلك شأن اليهود، فما بالنا نحن نتبعهم !

والأولى لطلاب العلم، فى تلك المسألة، هو أنهم إن لم يأخذوا بما قاله ابن عربي فى إيمان فرعون، فيجب عليهم عدم الطعن فى الشيخ، والتزام الوسطية.

## المبحث العاشر :الاختلاف فى الشيخ محيى الدين بن عربى

قسمت هذا المبحث إلى أربع إفادات، على النحو الآتى :

### الإفادة الأولى: ترجمة الشيخ

هو الشيخ محيى الدين بن محمد بن على بن محمد العربي الطائى الحاتمى الأندلسى المرسى المالكي. ولد فى السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٦٠هـ، فى مدينة مرسيه على شاطئ البحر الأبيض بالأندلس، وتوفى فى الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ ، بموضع يسمى الصالحية فى دمشق الشام، عن ثمانية وسبعين عاماً. تنقل فى بلاد المغرب لتحصيل العلوم ودراسة المنطق، ثم سلك طريق السلوك والمجاهدة، وبلغ فيها المرتبة العالية. ثم ارتحل إلى الحجاز، وأقام بالحرمين الشريفين مدة من الزمان، ثم ارتحل إلى الشام وظل بها حتى وفاته. واشتهر فى عصره بكثرة التأليف، والقوة القدسية، حتى عرف باسم الشيخ الأكبر. ألف نحو ستمائة كتاب ورسالة، أورد فيها وارداته بعد اختياره مسلك وحدة الوجود، وبخاصة فى كتابي الفصوص والفتوحات. ومن العلوم الغريبة التى ألف فيها الجفر الكبير، ومفتاح الجفر فى علم الحروف. وقد تتلمذ على يديه كثير من كبار المشايخ، مثل صدر الدين

القونوى[86]. ورغم أنه يغلب على تصانيفه الجمال، وسمت الجلال، فإن الناس مختلفون فى أمره.

## الإفادة الثانية: منكرو الشيخ

بعد وفاة الشيخ، أعاد بعض أصحابه فى الطريقة، وكثير من علماء الشريعة، قراءة كتبه العرفانية، فى ضوء منهج النظر، فأنكروها وردوها. وذلك خطأ لا يجوز؛ لأن هذا الإنكار قائم على منهج النظر. ومنهم من اكتفى بالإنكار، وسكت، ومنهم من كتب ردوداً على الشيخ، شنع فيها عليه، وكفره، لدرجة أنه حرف لقب الشيخ الأكبر إلى الشيخ الأكفر.

وكما أشرنا فى المبحث السابق، فإن ذلك جدال قائم على أساس فاسد، كما أن التحامل على الشيخ، وتكفيره – إذا فكرنا بموضوعية – أشبه بصرير الباب، وطنين الذباب؛ بمعنى أن أهل الإنصاف لا يعيرونه سمعاً، ولا يلتفتون إليه. علاوة على ذلك، فإن هذا الجدال يدفع البسطاء الجهلاء الذين لا يميزون

---

86 – صدر الدين القونوى : هو محمد بن مجد الدين إسحاق بن على بن يوسف الملاطى ثم القونوى صدر للدين، ربيب الشيخ الأكبر وتلميذه، توفى سنة ٦٧٢هـ. كان عالماً بعلوم الشريعة والطريقة، قصده الأفاضل من الآفاق، حتى إن العلامة قطب الدين الشيرازى أتاه وهو بقونيه، وقرأ عنده، وصاحبه فى علوم الظاهر والباطن. له تصانيف كثيرة، منها :
– إعجاز البيان فى كشف بعض أسرار أم القرآن فى تفسير الفاتحة ، – تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى (فارسى)، – جامع الأصول، – الرسالة المرشدية، – الرسالة الهادية، – شرح أسماء الله الحسنى، – فكوك النصوص فى مستندات حكم الفصوص للشيخ الأكبر

انظر :

– إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين، ج٢، ص ١٣٠.

– طاشكبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص ١٠٨ – ١٠٩.

اليمين من الشمال، إلى طوام كثيرة، بسبب سوء الظن، والأولى عدم إثارتهم. وبما أن البادئ أظلم، فالعاقبة ستكون وخيمة على هؤلاء المحرضين. أما الصوفية الذين خالفوا الشيخ، فقد كان إنكارهم خفيفاً. وهم بذلك قد وفوا بحق العلم، ولم يتمحلوا، ولهم الأجر على ذلك.

## الإفادة الثالثة: شيعة الشيخ

هم أكثر أصحاب طريق الكشف، وطائفة من أصحاب طريق النظر، وهؤلاء، عرفوا مغزى كلام الشيخ ومعناه. وربما نظروا إلى ظاهر الحال، وأحسنوا الظن بالشيخ، ولم ينكروه، وقبلوا كلامه. إن من شيعته من يقول إن الشيخ خاتم الأولياء، ووارث الخلافة المحمدية. وقد انبرت شيعته للرد على خصومه، وتسفيههم. وكلا الفريقين بين إفراط وتفريط.

أما بخصوص وحدة الوجود، فإن أكثر شيوخ التصوف بعده، قد نهجوا نهجه فيها. وقد فصل مولانا الجامي[٨٧] وهو ممن جمعوا بين الشريعة والطريقة، القول في تلك المسألة في رسالة، فليرجع إليها من أراد.

---

87 - الجامي : هو عبد الرحمن بن أحمد الجامي، ولد في خراسان، وتلقى العلوم الدينية أولاً، ثم صحب مشايخ الصوفية.. وكان مشتهراً بالعلم والفضل، وذاع صيته في الآفاق، فدعاه السلطان بايزيد إلى مملكته، وأرسل إليه جوائز سنية، لكنه لم يستطع تلبية الدعوة، لانتشار الطاعون في بلاد الروم. توفي بهراة سنة ٨٩٨هـ. من تصانيفه :

- شرح الكافية، - تفسير أوائل القرآن الكريم، - شواهد النبوة، - نفحات الأنس، - سلسلة الذهب، - رسالة المعمى والعروض والقافية

انظر : - طاشكبري زاده: الشقائق النعمانية، ص ١٥٩-١٦٠

## الإفادة الرابعة : المترددون فى الشيخ

هناك فريق ثالث تردد فى أمر الشيخ، ووقف محايداً فى الجدال الدائر بين الطرفين، ورأى أن السلامة في الحياد. ولعلهم أصابوا فى ذلك، كما يتضح لنا من وصية الشيخ صدر الدين القونوى، التى يقول فيها"إن كتب الشيخ، وكتبنا لن يشغف الناس بها من بعدنا؛ لأن باب طريقتنا موصود أمام عامة الناس."

والآن، فإنه يجب على طالب الحق أن يكون منصفاً، فإن لم يقدر على فهم كلام هؤلاء المشايخ، فعليه عدم الخوض فى ذلك المقام، ولايتورط فى الشك والشبهة. وهذا ما يجب على عامة المسلمين. وفقنا الله تعالى لحسن الظن.

## المبحث الحادى عشر: لعن يزيد

هذا المبحث معركة قديمة للآراء والأبحاث، شارك فيها بنو أمية، وآل عباس، والسنة، والشيعة. فمن المعلوم أن ميلاد الدولة الإسلامية، كان مع بعثة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنها قامت في عصر السعادة على الجمع بين النبوة والحكم. وكما قال عليه الصلاة والسلام"الخلافة بعدى ثلاثون سنة"، استمرت فترة الخلفاء الراشدين ثلاثين سنة، "ثم يكون ملك عضوض" وبعدها تواثب على الحكم طالبو الدولة. لقد ظهرت فى خلافة سيدنا عثمان"رضى الله عنه"وخلافة سيدنا على "كرم الله وجهه" نزاعات وصراعات لها أسباب دينية فى الظاهر. ثم تغلب بنو أمية، وظهروا فى الشام، فكانت تلك بداية احتدام الخلاف بين المسلمين، وتفرقهم إلى فرق عديدة. فوقع النزاع بين بنى أمية وبنى هاشم، حتى استقر الأمر لبنى أمية بعدما صرف

الإمام الحسن "رضى الله عنه" نظره عن دعوى الخلافة.

لقد كان ذلك جرحاً أليماً لبنى هاشم، فنهض الإمام الحسين "رضى الله عنه" خارجاً من المدينة المنورة لوضع حد لذلك، وتوجه إلى العراق لانتزاع السلطة. فلما علم بنو أمية بذلك، نهض أتباعهم، وأعوانهم لملاقاته. هنالك كانت كربلاء، التى استشهد فيها الإمام الحسين "رضى الله عنه" هو وأتباعه.

وقعت كربلاء سنة إحدى وستين هجرية، وقتها كان يزيد بن معاوية حاكماً لبنى أمية فى الشام؛ ولهذا صار يزيد جرحاً لا يندمل عند بنى هاشم، لم يستطيعوا الانتقام منه بسيوفهم، فأطلقوا ألسنتهم فيه سباً ولعناً؛ حتى يشفوا غيظ صدورهم. واتخذ الشيعة هذا اليوم مأتماً، وجرت عادتهم على لعن يزيد فيه، وما لبثت تلك العادة أن انتقلت إلى أهل السنة أيضاً.

وفى سنة ١٣٢هـ، قامت دولة بنى العباس، وهم من بنى هاشم، بعدما استأصلوا بنى أمية، فزاد سب يزيد ولعنه. ثم ظهر من بين الشيعة فرقة الرافضة، وهم من الغلاة الذين بدأوا بسب الشيخين أبى بكر وعمر "رضى الله عنهما". لقد أفرط الرافضة فى على وآل البيت، وفرط الخوارج فيهم!

وما أكثر المساجلات التى دارت فى هذا الباب بين علماء السنة وعلماء الشيعة فى عهد العباسيين، وهى مساجلات تحفظها كتب العقيدة، وكتب أصول الدين. فعند أهل السنة أن الواجب على المسلمين جميعاً، فى حق أصحاب رسول الله الكرام هو الآتى: ذكر الصحابة جميعاً بالخير، وعدم التفوه بكلمة سيئة عنهم، وحسن الظن بهم جميعاً. أما عن الاختلاف الذى وقع بينهم، فإنهم جميعاً مجتهدون، وخطأ المجتهد جائز، ولمن أصاب منهم أجران، ولمن أخطأ أجر، وكلهم مأجورون عند الله.

أما عن سيدنا على ومعاوية، فرأيهم أن معاوية أخطأ فى اجتهاده، والحق فى جانب على "كرم الله وجهه". أما عن يزيد، فإنهم مختلفون فيه؛ ذلك أنه ليس من الصحابة، فقد ولد سنة ٢٥هـ، وتوفى سنة ٦٤هـ؛ ولهذا يبيح علماء الشيعة لعنه. وقد شاكلهم فى ذلك بعض علماء السنة، الذين ذهبوا إلى أنه فاسق وكافر وله شعر يدل على كفره. ومن فقهاء الشافعية الذين قالوا بذلك، أبو الحسن على بن محمد الكياهراسى[٨٨]، المتوفى سنة ٥٠٤هـ، ومن المتأخرين سعد الدين التفتازانى. أما أكثر أهل السنة فإنهم لا يجيزون لعنه. وللإمام الغزالى فتوى مفصلة فى تحريم لعن يزيد، يقول فيها "الأولى عدم لعن أحد حتى لو كان كافراً أو شيطاناً". كما قال الإمام سراج الدين على بن عثمان الأوشى[٨٩]، فى قصيدته التى نظمها فى أصول الدين المعروفة بـ "يقول العبد" : " ولم يلعن يزيد بعد موت. "

---

88 – أبو الحسن على بن محمد الكياهراسى: هو على بن محمد بن على الطبرى الآملى عماد الدين أبو الحسن البغدادى الشافعى المعروف بالكياهراسى. ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفى ببغداد سنة ٥٠٤هـ. من تصانيفه :

– أحكام القرآن، – تعليق فى الأصول، – شفاء المسترشدين فى مباحث المجتهدين، – لوامع الدلائل فى زوايا المسائل، – نقد مفردات الإمام أحمد

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى :هدية العارفين، ج١، ص٦٩٤.

89 – سراج الدين على بن عثمان الأوشى: هو على بن عثمان بن محمد التيمى الأوشى سراج الدين الفرغانى الفقيه الحنفى. توفى بالطاعون الواقع سنة ٥٧٥هـ. من تصانيفه :

– ثواقب الأخبار، – غرر الأخبار ودرر الأشعار– فى الحديث، – فتاوى السراجية، – قصيدة الأمالى، – مشارق الأنوار، – يواقيت الأخبار، – قصيدة يقول العبد–فى الكلام

انظر :

– إسماعيل البغدادى : هدية العارفين، ج١، ص٧٠٠.

– كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص١٣٤٩– ١٣٥٠.

لكن الذى ترسخ فى الناس، وشاع بينهم عن يزيد، هو سوء الظن به، مثل فرعون، حتى صار لفظ يزيد مضرب المثل فى الشتم والذم. وبات أكثر الناس يلعنون بدافع التقليد، ليس حباً فى على ولا بغضاً فى معاوية. كأنهم لم يسمعوا فتوى الإمام الغزالى، ولا قصيدة "يقول العبد"، لدرجة أن بعض السفهاء يلعن معاوية. والجدال مع هؤلاء هراء لا يجدى؛ ذلك أن الباطل دائماً ما يقوم على التقليد، والتعصب بجهل.

والخلاصة، أن طالب الوسطية والاعتدال، عليه أن يختار طريق علماء السنة المعتدلين، وأن يعمل بفتوى الإمام الغزالى، ولا يتورط فى حماقات عبثية مضى عليها أكثر من ألف عام. أصل الفتوى موجود فى ترجمة الكياهراسى، فى وفيات الأعيان لابن خلكان.

## المبحث الثانى عشر: البدعة

البدعة هى كل ما ظهر فى الصدر الثانى أوبعده من الأمور الدينية والدنيوية، ولم يكن له أصل فى عهد رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وأصحابه الكرام "رضى الله عنهم"، ولم ترد له إشارة فى السنة القولية أو الفعلية أو التقريرية. والبدعة نوعان:بدعة حسنة، وهى لم تكن موجودة فى أول الزمان، ثم أجازها أئمة الدين فيما بعد حسب الحاجة، مثل بناء المآذن، وتأليف الكتب. وبدعة سيئة، وهى مثل عقائد الفرق الضالة من غير أهل السنة، والعبادات، والمعاملات التى يخترعها الناس حسب أمزجتهم. وأحكام هذين النوعين من البدعة مشروحة ومفصلة فى الكتب الشرعية.

ولسنا معنيين هنا بتفصيل ذلك، إنما الذى نريد التأكيد عليه، هو أن البدع

كلها تنشأ على أساس أعراف الناس وعاداقم. وأيما بدعة استقرت بين الناس، وراجت بينهم، فإن منع الناس عنها – تطبيقاً للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – هو حماقة وجهل عظيم. فالناس لا يتركون أمراً ألفوه، واعتادوا عليه، سواء كان سنة أوبدعة، إلا إذا قتلهم صاحب سيف عن بكرة أبيهم. فكم من بدعة فى العقيدة، حاربها سلاطين السنة لاستئصالها، فلم يجد ذلك نفعاً. ويشهد التاريخ على امتداده، أن جهود بعض الحكام الأتقياء، والوعاظ لمحاربة البدع فى المعاملات، لم تردع الناس عن أية بدعة. إن الناس لا تترك عادة إلا أن تبقى ما شاء الله فيهم، ثم تذهب من نفسها.

غير أن حماية المسلمين، والحفاظ على أركان الإسلام، هى الوظيفة الرئيسية للحكام، ويمكنهم الوفاء بها من خلال الوعاظ الذين يرغبون الناس فى السنة، ويعظونهم بالموعظة الحسنة، محذرين إياهم من البدعة، فهم بذلك يسوسون الناس بالرفق وليس بالقوة.

إننا لا نرى فائدة من الاستطراد فى تلك المسألة؛ لأننا إذا أنعمنا النظر فى تطبيق الناس للسنة فى العصور التى تلت صدر الإسلام، لرأينا ابتعاد الناس عن السنة فيها. وأيما إنسان منصف يحاسب نفسه، يجدها لا تصيب السنة أحياناً. فما خلت الأقوال والأفعال من وجه من وجوه البدعة فى كثير من الأحيان. وعسى شفيع الأمة"صلى الله عليه وسلم"أن يشفع لها فى البدع الكثيرة التى شاعت فيها، بحق استمساكها بعقيدة التوحيد. وإلا إذا كان الحساب على الالتزام بالسنة حق الالتزام، لصار الحساب عسيراً عسيراً. والله يحفظ أمة الإسلام ويهديها، آمين.

## المبحث الثالث عشر: زيارة القبور

كانت الأمم السالفة تولى أهمية كبيرة لزيارة القبور. وفى رواية، أن زيارة القبور هى منشأ عبادة الأصنام، فلما ظهر الإسلام، منع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" زيارة القبور لهذا السبب، ثم أجاز زيارتها فى قوله "صلى الله عليه وسلم": "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها". فشرع بذلك زيارة القبور والدعاء للموتى.

ثم ظهر بعد ذلك طلب المدد من الموتى. وقد اختلف علماء الإسلام فى تلك المسألة، فبعضهم أجاز ذلك، وقال "إذا تحيرتم فى الأمور، فاستعينوا بأهل القبور". "ويقولون أيضاً إن علاقة الروح بالجسد ليست منفصمة داخل القبر، وللأولياء روحانية فى قبورهم، والأولى هو التوسل بروحانيتهم بالتوجه والدعاء. أما رأيتم بعض مشايخ النقشبندية قد تلقى الطريقة من روحانية الأولياء الكبار، بملازمة قبورهم؟!

أما أكثر أهل الشرع، فيذهب إلى أن إرخاء العنان للعوام، فى زيارة القبور، قد يؤدى إلى عبادة الأصنام، كما حدث قبل الإسلام. والتوسل يبدأ بأرواح الأنبياء والأولياء، ثم يأتى التوسل بالصور، حتى يقال عن أصحابها ﴿هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[90]؛ ولهذا السبب يعتكف عباد الأصنام فيها للعبادة. وهذا هو سر منع التوسل على الإطلاق؛ لأنه يؤدى إلى الشرك بالله. أما رأينا سيدنا إبراهيم "عليه السلام" عندما ألقى فى نار النمرود، وأتاه جبريل فقال له "هل لك حاجة؟" فقال "أما إليك فلا" فقال له "سل ربك" فقال "علمه بحالى

---

90 – سورة يونس، آية ١٨.

حسبي عن سؤالي. " ومن ثم فإنه يجب تعليم الناس أن التوحيد الحق، يقتضي عدم التوسل بغير الله، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[91]. وبلغ من مبالغة بعض أهل الشرع، أن ابن تيمية[92] منع زيارة قبر رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وقال إن عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" لم يتوسل بقبر الرسول للاستسقاء، وأرسل إلى عمه العباس"رضى الله عنه". وهذا دليل على أن التوسل بالأحياء أولى.

وقد أثار ذلك الرأى جدلاً واسعاً بين علماء مصر والشام، ودارت فيه مساجلات فى حضرة سلطان مصر، وانقسم العلماء فيه إلى فريقين. أما ابن كثير[93]، وابن القيم[94] فكانا من تلاميذ ابن تيمية، واستفادا كثيراً من آرائه فى

---

91 - سورة المائدة، آية ٣٥.

92 - ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٣-١٣٢٨م):هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله بن تيمية الحرانى الدمشقى الحنبلى، شيخ الإسلام (تقى الدين أبو العباس) محدث وحافظ ومفسر وفقيه مجتهد، مشارك فى أنواع من العلوم. ولد فى ١٠ ربيع الأول بحران، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير. حدث بدمشق ومصر والثغر، وقد امتحن وأوذى مرات، وحبس بقلعة القاهرة والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين، وتوفى بها فى ٢٠ ذى القعدة. من مصنفاته الكثيرة : - مجموعة للفتاوى، - السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، - بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، - منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية، - قواعد التفسير انظر : - عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ج١، ص٢٦١.

93 - ابن كثير : هو عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ولد سنة ٧٠٠هـ، أو بعدها بقليل، وتوفى والده سنة ٧٠٣هـ، فربى يتيماً. نشأ بدمشق، وتتلمذ على يد مجموعة من علمائها، أبرزهم ابن تيمية، وكمال الدين الزملكانى، شيخ الشافعية بالشام (ت٦٢٧هـ). وتوفى ابن كثير بدمشق سنة ٧٧٤هـ. من تصانيفه : - تفسير القرآن العظيم، - البداية والنهاية، - الفصول فى السيرة، - تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، - النهاية فى الفتن والملاحم، - فضائل القرآن، - قصص الأنبياء، - الاجتهاد فى طلب الجهاد =

مؤلفاهما. وأما مخالفو الشيخ، فقد أفتوا بتكفيره، فحبس الشيخ، ومات فى محبسه سنة ٧٧٨هـــ.

ومن الواجب إعادة النظر فى بحث زيارة القبور المتنازع فيه، والأصوب هو التزام منهج الوسطية فى هذا البحث. فهناك بعض المشايخ الذين يعتقدون فى عودة الأرواح إلى الأبدان فى القبور، ويجيزون التوسل فى بعض المواضع، وفق شروط وقيود محددة، ولايرون فى هذا التوسل شيئاً من الشرك. ذلك أن التوحيد درجات، أعلاها التوحيد المطلق، وهو توحيد سيدنا إبراهيم عليه السلام. والموحدون من أهل تلك الدرجة، لا يتخذون إلى الله وسيلة، وأغلب أرباب القوة القدسية كذلك. أما أصحاب الدرجة الدنيا، فإنهم يتوسلون بالأرواح والأجسام فى الجلب والدفع، ويرون أن الوسيلة ليست بقصد

---

=

انظر:– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ص ٣–٨، دار الغد، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠،

– دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٢٦٩.

94 – ابن القيم الجوزية: هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب، فقيه حنبلى تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية. ولد سنة ٦٩١هـــ، وتوفى ٧٥١هـــ. كان فى كل شىء تلميذاً أميناً لشيخه، أخذ بجميع أقواله، وكان يحارب الفلاسفة والنصارى واليهود، وعانى الاضطهاد والسجن. من تصانيفه: – الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، – كتاب الروح، – أخبار النساء، – شفاء العليل فى القضاء والقدر، – الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية، – مفتاح دار السعادة ومنشور لواء العلم والإرادة، – زاد المعاد فى هدى خير العباد، – هادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، – أقسام القرآن، – إغاثة اللهفان فى حكم طلاق الغضبان، – مدارج السالكين فى منازل السائرين

انظر :

– الصفدى :أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق جماعة من الباحثين، ج٤، ص٣٦٦، دار الفكر العربى، ط١، بيروت، ١٩٩٨.

– دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص ٢٦٨–٢٦٩.

العبادة، ولا شرك فيها. وأما أصحاب الدرجة الوسطى، فيرون أن زيارة القبور يجب أن تكون ابتغاءً لمرضاة الله، مع الاكتفاء بقراءة سورة الفاتحة، والدعاء لصاحب المزار، مع عدم تقبيل القبر والتمسح به. ومن تيسر له زيارة الروضة المطهرة لرسول الله "صلى الله عليه وسلم" فعليه الالتزام بآداب الزيارة، والسكينة، والدعاء الصادق من القلب، وعدم التمسح بالروضة وتقبيلها بلا أدب. تلك هي آداب الشريعة، ومخالفتها خروج عن الوقار والاعتبار.

والأولى هو عدم الوقوع فى المحظورات، وترك التقرب إلى الأرواح بأشياء لا أصل لها. هذه هي الطريقة الوسطى بين الإفراط والتفريط، فلا نمنع الناس من زيارة القبور، ولا نرخى العنان لهم فى التوسل بها.

إن ما شاع بين الناس الآن، من وضع للقناديل فى القبور، ثم تأتى النسوة والأطفال، وضعاف العقول، ويتمسحون بالمقبرة، ويدهنون أنفسهم بزيت القناديل، هو عادات لا يجب السكوت عليها. لكن الجدال مع هؤلاء حماقة لا تجدى؛ لأنهم جهلاء. والأدهى من القبور، هو ما يفعله هؤلاء الجهلاء من ربط أنفسهم ببعض الأشجار التى يزعمون أنها مقدسة، وكذلك تقديس بعض الناس لبعض الأحجار؛ بدعوى شفاء الأمراض، مع أنه لا قداسة فى الإسلام لشجر أو حجر غير الحجر الأسود؛ لحكمة فى ذلك.

## المبحث الرابع عشر: صلاة الرغائب والبراءة وليلة القدر

جاء فى أمهات كتب الفقه، أن صلاة النوافل - ماعدا صلاتين - فى جماعة، أمر مكروه. لكن بحلول القرن الرابع الهجرى، ظهرت فى القدس صلاة الرغائب، وانتشرت بين الناس، ثم تلتها صلاة البراءة، وصلاة ليلة القدر،

وراح الناس يصلونها فى جماعة حتى صارت عادة. وأفتى بعض العلماء أن تلك الصلوات بدعة، وصلاتها فى جماعة أمر مكروه. وبرغم ذلك، زاد الناس إصراراً عليها.

وتختلف فتاوى شيوخ الإسلام فى الصلوات، فتارة يفتون بأنها مكروهة، ويفتون تارة أخرى بأنها على سبيل النذر، وأنها عرف وعادة، ويصح بالعرف ما يصح بالشرع. ولعل شيوخ الإسلام اختاروا فى فتاواهم أهون الشرين، رغم علمهم أنها بدعة مكروهة. كما أن أولى الأمر لم يضيقوا على الناس بمنعها، ربما لعلمهم أن التضييق عليهم لن يردعهم عنها.

أما الناس، فقد فرقهم التعصب فريقين، أحدهما أفرط، وأخذ بالتشدد والتغليظ فى تحريمها، والآخر فرط، ولم يتشدد، وأباحها. وكلا الفريقين جانبه الصواب، وخرج عن حد الاعتدال. والقول المعتدل السديد فيها، أنها متروكة للفرد، إن شاء صلاها كنذر، وإن شاء صلاها فى بيته، وإن ذهب إلى المسجد ووجد مصلين يصلون الجماعة، فليصلها معهم؛ لأن ترك الجماعة حماقة، ومن العقل عدم مخالفة الجماعة، سواء كانت الصلاة بنذر، أو بغير نذر. فالتعصب مثير للفتن والحقد والكبر يعميان البصيرة، ويخفيان الاعتدال وإن كان واضحاً، ويدفعان إلى الغلو، ويصورانه على أنه هو الشيء المعقول.

أفلا يعلم ذلك البائس، أن المتنطع يستحق التعزير على ظنه، وأنه مبغوض من الخلق، مردود من الحق ؟! أيها الأبله، أترى فائدة فى فتورك فى صلاة الليل بالبيت ؟ ألم تصل جماعة فى عمرك ؟ أم أنك إن صليت صلاتك تلك مع المسلمين فى المسجد، تكون قد ارتكبت منكراً، أو كافراً ؟ وهل أنت مبرأ من الإثم فى سائر أقوالك وأفعالك؟ وهل تطبق الشرع فى كل أمورك، أم أنك

مخالف فى أغلبها ؟ لقد كان الشيخ قاضى زاده أفندي[٩٥]، يقول وهو يدرس لنا "إحياء علوم الدين": "أن ما نستفيده من هذا الدرس هو الإقرار بعجزنا وتقصيرنا". فمن أين ياهذا يأتيك هذا الزعم والافتئات ؟

إن الواجب على الوعاظ، هو أن ينقلوا للناس هذه المحاكمة عن تلك الصلوات فى وقتها، فتلك هى وظيفتهم. إن آفة الإفراط والتفريط، بلاء بين الناس، تشيع الفرقة فى الأمة الإسلامية. وليس هذا مقام التشدد والتغليظ. والأولى هو عدم محاربة العادات التى أخذت شكل العبادات؛ لأن ذلك يزيد من إصرار الناس عليها. وربما إذا رغبنا فيها، تقاعس الناس عنها، وهجروها، مثل غيرها من الفرائض والواجبات. أفلا ترى أن تاركى الصلاة، تضيق بهم المساجد فى تلك الليالى؟ ذلك لأن منعها يزيد من حرص الناس عليها.

## المبحث الخامس عشر: المصافحة

المصافحة باليد، سنة عند البيعة واللقاء. وكان الصحابة "رضوان الله تعالى عليهم أجمعين"يصافحون بعضهم البعض عند اللقاء، ويقولون لبعضهم "غفر الله لنا ولكم". والأحاديث المروية فى هذا الباب كثيرة، وحسبنا فى هذا ما جاء فى أذكار الإمام النووى[٩٦] فى فصل المصافحة.

---

95 – الشيخ قاضى زاده افندى: ستأتى ترجمته فى المبحث الحادى والعشرين، ضمن هذا الكتاب.

96 – الإمام النووى (٦٣١–٦٧٧هـ/١٢٣٣–١٢٧٨م): هو يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعه بن حزام النووى الدمشقى الشافعى (محيى الدين، أبو زكريا) فقيه، ومحدث، وحافظ، ولغوى. ولد بنوى فى المحرم سنة ٦٣١هـ، وقرأ القرآن بها، وقدم دمشق فسكن المدرسة الرواحية، ولازم كمال الدين إسحاق المغربى، وقرأ فيها الفقه وأصول الحديث والمنطق. من مؤلفاته: – الأربعون النووية – فى الحديث، – روضة الطالبين وعمدة المفتين =

لكن الذى حدث فيما بعد، أن الناس صارت لا تتصافح عند اللقاء فحسب، بل شاعت المصافحة بعد صلاة الجمعة بين الأتراك. وفضلاً عن أن ذلك بدعة أقرها العادة والعرف، فإن بعض الوعاظ يقولون إنها عادة الرافضة الذين يتصافحون دبر كل صلاة. وهناك فتاوى متعلقة بالمصافحة بعد صلاة الجمعة. والأولى هو الإصلاح ومواجهة تلك البدع المنتشرة. وهناك جدل حول منهج الإصلاح، لكن الأصوب هو تجنب الإفراط والتفريط، عندئذ يستجيب بعض الناس. والواقع أن العوام يعتبرون المصافحة أمراً واجباً، وبخاصة فى الأعياد.

والقول المعتدل فى تلك المسألة، وبخاصة فى يوم الجمعة، هو أن لا يبدأ الفرد بمصافحة أحد، فإن مد جاره الذى يجلس بجانبه إليه يده بالمصافحة، فعليه مصافحته؛ لأنه إن لم يفعل ذلك، سيصيب جاره بالخجل والانكسار، وذلك يحزنه بلا شك. فالمصافحة فى تلك الحال – رغم أنها بدعة – أهون من كسر خاطر المسلم. كما أنه لا تثريب على من يبدأ بالمصافحة، مادام يفعل ذلك جرياً على العادة، فهو ليس عاصياً ولا مذنباً. أما المصافحة فى الأعياد فهى سنة، وأما العادات الخاصة بالعيد فهى ليست سنة، وإلا صارت كل أمورنا سنة!!

---

=

فى فروع الفقه الشافعى، – تهذيب الأسماء واللغات، – التبيان فى آداب حملة القرآن، – رياض الصالحين

انظر: – النووى: روضة الطالبين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، ص٥١، وما يليها، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣ ، – عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج١٣، ص ٢٠٢.

## المبحث السادس عشر: الانحناء

الانحناء عند السلام، أو الإشارة باليد أو الرأس، بدعة فيها اختلاف. فلكل أهل الملل والأديان، ولكل أهل الإسلام، على اختلاف أعراقهم، طريقتهم الخاصة فى السلام، وفقاً للعرف والعادة. ومن المعلوم أن التحية فى صدر الإسلام، كانت السلام، فلما ظهرت الممالك الإسلامية فيما بعد، أصبح لكل دولة عرفها وعادتها، حتى أوشك أن لا يبقى شيء مما كان فى عهد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وصحابته الكرام. وذلك ناتج عن اختلاف أطوار الدول، وتباين الديار والعادات.

لقد نُسيت أكثر أمور السنة، ولم يبق منها إلا اسمها ورسمها فى كتب الرواية، ووقع التساهل فى كثير من الفرائض والواجبات. وتلك سنة الله فى خلقه، رأيناها فى كل الملل والأديان. فما حافظت أمة نبى من الأنبياء على سنته، آخرها كأولها؛ فالفساد ينتظم الكون كله.

كان المتبع فى عهد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" هو العمل بمقتضى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [٩٧]، فكان الرجل إذا دخل يقول "السلام عليكم" فيرد عليه أخوه "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته". وظل ذلك دأب الصحابة الكرام، وعموم أهل الإسلام فى عصر الخلفاء الراشدين. فلما ظهرت دول الممالك الإسلامية، ظهرت معها بعض العادات، وصار لكل قوم تحيتهم المعتادة فيما بينهم. فالتحية الشائعة فى الدولة العثمانية مثلاً، هى تقبيل الأرض فى حضرة السلطان، والركوع والانحناء فى

97 – سورة النساء، آية ٨٦.

حضرة أكابر الدولة وعلماء الدين. أما عامة الناس فتحيتهم هى "صباح الخير"، وبعضهم يلقى السلام حسب السنة. ولا شك أن تلك العادات مخالفة للسنة، وقد ذكرنا مراراً أن تغيير عادات الناس، مشكلة كبيرة، والجدال مع مخالفى السنة تهور، قد يلحق الضرر بأمور الدنيا والدين، ويخل بالنظام العام.

كان من عادة الفقراء، فى وقت ما، تقبيل الأرض فى حضرة الملوك والأكابر. وكان أهل الورع من هؤلاء الأكابر، ينفعل لذلك انفعالاً شديداً، ويقول للفقير" لقد كفرت ، وأهلكتنى"، فيخجل الفقير خجلاً شديداً. فهل فى نية هذا الفقير شيء من الكفر أو الهلاك؟ إن السجود الموجب للكفر يكون على الأعضاء السبعة، ويقول الساجد ثلاث مرات "سبحان الله" بقصد عبادة المسجود له. لقد كانت سجدة التحية معتادة فى الأمم السابقة، لكنها نسخت فى الإسلام. والظاهر أن هذا الساجد لا يسجد على سبعة أعضاء، وليس فى نيته عبادة المسجود له، فمن أين يأتى الكفر والهلاك؟

بيد أنه لا شك أن تقبيل الأرض والركوع والانحناء، وسائر ألفاظ التحية الأخرى، مخالفة للسنة، ونسأل الله الصفح؛ فقد غلب العرف والعادة على الناس. لقد شاع بين الناس أن من مر على مجالس الأكابر، وقال "السلام عليكم" فقط، اتهموه بالاستخفاف بهم؛ ولهذا يضطر الناس إلى مراعاة العرف والعادة. كذلك حال الطلاب فى حضرة الأستاذ، إن لم يركعوا، أو ينحنوا، يغضب الأستاذ عليهم. ذلك أن السلام – فى زماننا هذا – يشعر الأستاذ بمساواته مع عامة الناس، وليس فيه رعاية للآداب والعادات الشائعة؛ ولهذا يغضب الأستاذ. هذه دقائق ينبغى على المشايخ المتعرضين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الالتفات إليها. فصرف الناس عما اعتادوا عليه عبث،

ويجب عدم إضاعة الوقت. إن تكرار النصح، قطع للمعذرة، فإن لم يؤثر، فإن زيادته لا تفيد.

## المبحث السابع عشر: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

اختلف علماء الإسلام، حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فذهب بعضهم إلى أنه واجب مطلق، وذهب البعض الآخر إلى أنه ليس واجباً مطلقاً. والحق أنه تابع للمأمور به والمنهى عنه، فهو واجب فى الواجب والحرام، ومندوب فى المكروه والمندوب. وقد ذكر الإمام سيف الدين الآمدى[٩٨] فى "أبكار الأفكار" سبعة شروط فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أوردها العلامة عضد الدين[٩٩] فى مواقفه، والسيد الشريف الجرجانى[١٠٠] فى شرحه، وقد أوردها كلاهما على النحو الآتى :

**الشرط الأول:** أن يكون الآمر والمأمور مكلفين، وأهلاً للخطاب.

**الشرط الثانى:** أن يكون الآمر على علم بالمعروف والمنكر، ولا يشترط أن يكون عاملاً بما يأمر به أو ينهى عنه، كأن يقول فاسق يشرب

---

98 – الآمدى (٥٥١-٦٣١هـ/١١٥٦-١٢٣٣م) :هو على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى الآمدى الحنبلى ثم الشافعى (سيف الدين) فقيه، وأصولى، ومتكلم، ومنطقى، وحكيم. ولد بآمد، وأقام ببغداد، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى الديار المصرية، وتوفى بدمشق. من تصانيفه: – غاية المرام فى علم الكلام، – دقائق الحقائق فى الحكمة، – الأفكار فى أصول الدين، – غاية الأمل فى علم الجدل

انظر : – عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٥٥.

99 – العلامة عضد الدين: سبق التعريف به فى الحاشية رقم ٢٥.

100 – السيد الشريف الجرجانى: سبق التعريف به فى الحاشية رقم ٢٠.

الخمر لغيره فى مجلس شراب "لا تشرب"؛ ذلك لأن عدم شربه واجب، ونهيه غيره عن الشرب واجب أيضاً، ولا يجوز ترك واجب لترك واجب غيره؛ فليس ترك الواجب منافياً لفعل واجب آخر. والأولى فعل الواجبين معاً، فذلك يترك تأثيراً أكبر.

**الشرط الثالث:** أن يكون المأمور به واجباً، والمنهى عنه حراماً، وإلا لا يجب الأمر والنهى.

**الشرط الرابع:** أن يكون الواجب قطعياً، مثل وجوب الصلاة، وتحريم الخمر. ولا يجب الأمر والنهى فى المسائل الاجتهادية المختلف فيها.

**الشرط الخامس:** عدم وجود آمر وناه غيره، فإن وجد، صار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كفاية، فلو وجد واحد فى ناحية ما، كفى عن الآخرين. لكن هذا لا يعنى أن من تتوفر فيه شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يجوز له السكوت عن منكر رآه، بزعم أن هناك غيره يقوم بذلك، فربما كان غيره لا يرى ذلك المنكر.

**الشرط السادس:** أن يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يرجى معه حصول المأمور به، وزوال المنهى عنه، بمعنى أن يكون الراجح فيه، عدم إثاره الناس، وإيقاظ الفتنة. فإن لم يكن الأمر كذلك، فهو غير واجب؛ ذلك أنه من المستحب إعلاء كلمة الإسلام دون نزاع أو جدال، وإثارة الفتنة.

**الشرط السابع:** أن يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون تجسس على أحد؛ لأن التجسس سعى لإشاعة الفاحشة، وهذا حرام.

والله تعالى يقول فى كتابه ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[101]، ويقول أيضاً ﴿الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾[102]. ويقول رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فى حديثه الشريف "من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته"[103]، ويقول أيضاً "من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليسترها، يستره الله تعالى، فإنه من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد."[104] وكان دأب السلف الصالح فى التعامل مع المنكرات، هو الستر، وعدم التجسس، والتلطف، والتجاوز، والحرص على عدم إشاعة الفاحشة، وكراهية البوح بالمنكر. وكانوا دائماً يأمرون بستر الفواحش، ويتعللون بلعل وعسى.

هذه هى الشروط المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن نقص أحدها، صار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مستحباً، وليس واجباً. ولا شك أنه فى حال احتمال الفتنة، فإن تركه لازم، مع الاكتفاء بالإنكار بالقلب.

غير أن المتنطعين، وأدعياء الدين، الذين لا يفقهون شيئاً مما عرضناه من

---

101 – سورة الحجرات، آية ١٢.

102 – سورة النور، آية ١٩.

103 – أشهر ما ورد فى هذا الحديث، حديثان؛الأول : حديث عن عبد الله بن عمر قال" صعد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" المنبر فنادى بصوت رفيع فقال:يا معشر من قد أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو بجوف رحله. " أخرجه الترمذى (٢٠٣٢) وابن حبان (٥٧٦٣) والبغوى في (شرح السنة ٣٥٢٦). والحديث الثانى حديث أبى برزة الأسلمى مرفوعاً :"يامعشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه فى بيته. " أخرجه أبو داود (٤٨٨٠) وأحمد (٤/٤٢٠-٤٢١).

104 – للحديث رواية أخرى "من ابتلى بشيء من هذه القاذورات، فليستتر بستر الله جل وعلا. " رواه الحاكم والبيهقى.

شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا يتأسون برسول الله "صلى الله عليه وسلم" فى تعامله مع أمته بالتلطف والكرم ن أدعياء الدين فى آخر الزمان، لا يرون بأساً فى مخالفة رسول الله، فيأخذون الناس بالشبهة، ويرمون هذا بالكفر، وهذا بالضلال، وهذا بالفسق، ولا يتقون الله، ولا يستحون من رسول الله. إنهم سبب التعصب، وسبب شق صف المسلمين.

أما العوام، فهم لا يعرفون شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويحسبون أنه واجب على كل مسلم، ولهذا يدب الخلاف بينهم بالباطل، حتى يقتتلوا. ذلك هو أساس اختلاف المسلمين واقتتالهم.

## المبحث الثامن عشر : الملـــة

اعلم أنه لو كان هناك فرق بين معنى الملة والدين والشريعة، فإن ذلك راجع إلى المعنى الذى بلّغه كل رسول من أولى العزم لأمته. لقد جاء جميع الأنبياء بالتوحيد، ولا اختلاف بينهم فى الأصول، وإنما الاختلاف فى الفروع. ولما كان الدين الإسلامى، والملة الإسلامية، تتفق فى الأصول، وفى أكثر الفروع مع دين إبراهيم عليه السلام وملته، فقد صار من المشهور إضافة الدين الإسلامى إلى دين إبراهيم عليه السلام. وقد سئل أحد أفاضل العلماء فى عصرنا هذا عن جواز أن يقول رجل من أمة محمد "أنا على ملة إبراهيم"، فأجاب بأن ذلك لا يجوز، وكتب فى ذلك رسالة مختصرة، ومفصلة. لكن بعض المشايخ، فند ذلك الرأى، وكتب فيه رسائل أخرى، بعد بحث وتحقيق واستدلال من كتب الأصول والتفسير. ولى فى ذلك المقام ثلاث مقالات، أعرضها، الأولى فى معنى كلام ذلك العالم الفاضل، والثانية فى فحوى كلام

الشيخ مجيب[١٠٥]، والثالثة محاكمة للرأيين.

## المقالة الأولى:

حرر الفاضل المذكور دعواه في رسالته على النحو الآتي: أوردت كتب الأصول ثلاثة أوجه للتعامل مع الشرائع السابقة، **أولها:** وجوب العمل بشرائع الأنبياء السابقين، إلا إذا ثبت أنها منسوخة. **وثانيها:** ترك العمل بشرائع الأنبياء السابقين، إلا إذا ثبت أنها باقية. **وثالثها:** وجوب العمل بشرائع الأنبياء السابقين، لكن وفق أصول شريعة نبينا، وليس وفق أصول شريعة النبي السابق، شريطة أن يكون الله ورسوله قد أقرا تلك الشريعة، إقراراً واضحاً لا لبس فيه. وقد قال فخر الإسلام البزدوي[١٠٦] في كتاب "الأصول"[١٠٧]: "وهذا مذهبنا الصحيح المختار". وبصفة عامة، هذا هو

105 – لم أقف له على ترجمة.

106 – فخر الإسلام البزدوى :هو على بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد، أبو الحسن فخر الإسلام البزدوى، الفقيه بما وراء النهر، صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة. توفي يوم الخميس الخامس من رجب سنة ٤٨٢هـ. من تصانيفه:
– المبسوط، – الأصول، – شرح الجامع الكبير والجامع الصغير
انظر : – طاشكبرى زاده : مفتاح السعادة، ج٢، ١٦٤–١٦٥.

107 – الأصول : من تأليف فخر الإسلام البزدوى الحنفي، المتوفى سنة ٤٨٢هـ.. وهو كتاب عظيم الشأن، جليل البرهان، محتو على لطائف الاعتبارات بأوجز العبارات. تأبى على الطلبة مرامه، واستعصى على العلماء زمامه، قد انغلقت ألفاظه، وخفيت رموزه وألحاظه، فقام جمع من الفحول بأعباء توضيحه، وكشف خبياته وتلميحه. وقد ذكر كاتب چلبي نحو عشرة شروح لهذا الكتاب، وأضاف إليها إسماعيل باشا البغدادى شرحاً آخر للشيخ سليمان بن أحمد السندى.

انظر : – كاتب چلبي: كشف الظنون، ج١، ص١١٢–١١٣ ، – إسماعيل باشا البغدادى: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تحقيق:محمد شرف يالتقايا، ورفعت بيلگه =

المذهب الراجح فى كتب الأصول، التى بسطت القول فى وجوه الاستدلال لإثباته. ومن بين تلك الوجوه، أن رسول الله"صلى الله عليه وسلم" هو جامع محاسن الشريعة، وهو وارث لكل ميراث النبوة، وقد انتقلت إليه، وإلى أتباعه كتب الأمم السالفة كلها، بطريق الإرث، ومن ثم فإن المواد التى لم تنسخ منها، سارية فى شريعة رسولنا وملته. وأيما شريعة أو ملة، تنتقل عن طريق الإرث، تصبح ميراثاً، وتضاف إلى الوارث، بمعنى أن ملة إبراهيم "عليه السلام" تظل منسوبة إليه، لكنها بعد انتقالها إلى سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" لم تعد لها علاقة بإبراهيم "عليه السلام". هذا ما فصله شارح البزدوى، وأكمل الدين[108] صاحب "الكشف والتقرير". تلك هى خلاصة ما جاء فى كتب الأصول فى هذا الموضوع.

ولهذا قال البيضاوى، وأبو السعود أفندي، فى تفسير قوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[109] إن اتباع ملة الإسلام، يعنى اتباع ملة إبراهيم "عليه السلام".

---

=

الكليسى، ج١، ص٩٢، المكتبة الإسلامية، والجعفرى تبريزى، ط٣، طهران، ١٩٤٧.

108 – أكمل الدين: هو محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الرومى البابرتى، أكمل الدين بن شمس الدين بن جمال الدين. ولد سنة ٧١٢هـ، وتوفى سنة ٧٨٦هـ. وهو فقيه حنفى، من تصانيفه: – العناية (وهو شرح للهداية)، – شرح مشارق الأنوار، – شرح مختصر ابن الحاجب، – شرح المنار والتلخيص، – شرح التجريد للطوسى، – شرح ألفية ابن معطى، – التقرير (وهو شرح لكتاب الأصول للبزدوى)، – الكشاف

انظر :

– طاشكبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص ٢٤٣.

– كاتب چلبى :كشف الظنون، ج١، ص١١٢، ج٢، ص ٢٠٣٥.

– إسماعيل باشا البغدادى :هدية العارفين، ج٢، ص١٧١.

109 – سورة آل عمران، آية ٩٥.

وهذا لا يعنى جواز أن يقول أحد "إنى على ملة إبراهيم"؛ ذلك لأن ظاهر هذا القول، يدل على أن ملة إبراهيم"عليه السلام"هى الملة التى يتعبد المسلمون عليها الآن، كما أن ذلك يعنى أن سيدنا محمداً "صلى الله عليه وسلم"، وأمته، فى منزلة أمة إبراهيم "عليه السلام"، وفى ذلك نفى لأصالة ملة سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم". هذا قول لا يجوز للعوام التلفظ به، أما الخواص، فيجوز لهم القول إن ملة محمد هى فى أصلها ملة إبراهيم، وإن العمل يجب أن يكون على ملة محمد "صلى الله عليه وسلم"، وليس على ملة إبراهيم "عليه السلام". وما يستفاد من ظاهر ذلك لا يقال فى الاعتقاد؛ لأن ذلك يحتاج إلى قرينة. ويجوز سماع هذا القول، لكن لا يجوز قوله؛ لأن ما يستفاد فى الظاهر بالسماع، يذهب بطريق الاعتقاد. والخلاصة، أن كل قول محمول على ظاهره، وما يستفاد من الظاهر لا ينسحب على الاعتقاد، ولا يجوز التلفظ به.

وبعدما سقناه من وجوه الاستدلال فى هذا الموضوع؛ بهدف إثبات ذلك الرأى، ودفع الشبهات، لا نرى داعياً للاستطراد. غير أن الإشارة إلى القواعد المذكورة ضمن الأدلة، لا تخلو من الفوائد الآتية:

**الفائدة الأولى:** فى ضوء ما ذكره شمس الأئمة[110] فإن شريعة محمد "صلى الله عليه وسلم"هى أصل الشرائع، والدليل على ذلك، قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[111]؛ لأن أخذ ميثاق التصديق على الأنبياء، دليل على وجوب اتباعهم لسيدنا محمد"صلى الله عليه وسلم"، وأنهم من أمته. ومن ثم، فإنه لا يستقيم أن يتعبد محمد "صلى الله عليه وسلم" وفق شريعة الأنبياء

---

110- شمس الأئمة: هو الشيخ أكمل الدين البابرتى.

111 – سورة آل عمران، آية ٨١.

السابقين؛ لأن ذلك يعني أنه أحد أتباع النبي السابق، وذلك حط من درجة رسول الله "صلى الله عليه وسلم". والخلاصة أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أصل، وما عداه تابع. هذا مافصله صاحب الكشف، وأجمله فى التقرير.

**الفائدة الثانية:** فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ﴾[112] يرى فاضل كازرونى[113] أن سيدنا محمداً "صلى الله عليه وسلم" هو صاحب الشرع الأصلى عن طريق الاستقلال، والدليل على ذلك قوله "صلى الله عليه وسلم":"لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعى"[114].

**الفائدة الثالثة:** يتوهم البعض، أن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[115]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[116]، يعنى توجيه الأمر باتباع ملة سيدنا إبراهيم "عليه السلام". وعليه فإنه يجوز القول "إننا من اتباع ملة إبراهيم". والجواب أن المراد من الأمر بالاتباع، هو

112 – سورة آل عمران، آية ٦٨.

113 – فاضل كازرونى :لعله أسد الله بن لطف الله بن روح الله بن سلامة الله المظفر أبو الليث بن النظام بن الفخر بن العز الحسينى الكازرونى ثم الشيرازى فاضل.. من علماء القرن التاسع الهجرى.. قدم قرب الأربعين فأخذ عن شيخنا ابن خضر بقراءته وقراءة غيره، ومما قرأه عليه المتباينات وشرح النخبة. انظر: – السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٢، ص٢٧٩، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

114 – حدثنا أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجاهد عن الشعبى عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنهما، أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قال : والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى"
– الإمام أحمد بن حنبل :المسند (٣٨٧/٣).

115 – سورة النحل، آية ١٢٣.

116 – سورة آل عمران، آية ٩٥.

اتباع ملة الإسلام التى هى ملة إبراهيم "عليه السلام". ويقول سعدى أفندي[١١٧] عن لفظ "أوحينا" أنه لا يعنى توجيه الأمر لسيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم "باتباع سيدنا إبراهيم "عليه السلام"؛ ذلك أن الأمر باتباع الملة، لا يعنى الأمر باتباع سيدنا إبراهيم "عليه السلام"، وإنما يعني استقلال ملة سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" مع أنها من نفس المصدر الذى جاءت منه ملة سيدنا إبراهيم "عليه السلام". وجاء فى بعض كتب الأصول أن المراد من تلك الآية، هو وجوب العمل بالملة. ولا يكون الاتباع باتباع كل الملل من أولها حتى ملة رسولنا "صلى الله عليه وسلم". هذة هى خلاصة كلام سعدى أفندي.

**الفائدة الرابعة:** قال العلامة سعد الدين[١١٨] فى حاشيته فى تفسير قوله تعالى

---

117 – سعدى افندى:هو شيخ الإسلام سعدى سعد الله افندى، شيخ الإسلام العاشر فى الدولة العثمانية، توفى سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م. ولد فى قسطموني ولا يعلم بالتحديد تاريخ مولده. تلقى علومه الأساسية على يد والده عيسى چلبى الذى كان يعمل إماماً فى مسجد مراد باشا باستانبول. ثم أكمل دروسه على يد الشيخ السامسونى. ثم عمل مدرساً فى مدرسة محمود باشا، ثم فى مدرسة الصحن الثمانى، ثم عين قاضياً فى استانبول، وظل بهذه الوظيفة عشر سنوات، ثم عزل منها، وجرد من رتبته، وعاد مدرساً بمدارس الصحن. وبعد وفاة شيخ الإسلام ابن كمال باشا زاده، عين شيخاً للإسلام مكانه، وظل شيخاً للإسلام حتى وفاته سنة ٩٤٥هـ. من تصانيفه: – التعليقات، – حاشية تفسير البيضاوى، – الفتاوى السعدية، – حاشية على شرح الهداية، – حاشية على القاموس. انظر: Abdulkadir Altunsu : a. g. e. S. 20 .-

118 – العلامة سعد الدين: هو سعد الدين بن حسن جان بن الحافظ محمد الأصفهانى. وهو فارسى الأصل، رحل جده مع السلطان سليم بعد انتصاره على الشاه إسماعيل الصفوى، وكان والده نديماً للسلطان سليم، وصحبه فى حملته على مصر. وهو شيخ الإسلام الثانى والعشرون فى الدولة العثمانية. ولد سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م. تلقى تعليمه على يد مشاهير علماء عصره، مثل قره مانلى محمد افندى، وأبى السعود افندى، ونال شهرة فى العلم وهو صغير، فعين مدرساً فى مدرسة مراد باشا وهو فى العشرين من عمره، ثم عمل مدرساً فى مدارس الصحن. وكانت له حظوة كبيرة عند السلطان مراد الثالث؛ لذلك أطلق عليه "جامع

﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[119]: "ذلك تنبيه على تعظيم سيدنا إبراهيم "عليه السلام"، ودليل على أن ملته حق موافق للدليل العقلى والسمعى، دون أن يعنى ذلك وجوب اتباعها". وقد ذكر العلامة عصام الدين[120] فى هذا الموضوع فى حاشية القاضى " إن إضافة الملة إلى إبراهيم "عليه السلام"تعريض بالمشركين الذين يقلدون آباءهم، والمراد بهذا هو وجوب الاقتداء بالأنبياء، وليس بآباء الجاهلية. ومن ثم فإن الاقتداء بالأنبياء يعنى ترك التقليد، والتماس الدليل بالعقل والسمع".

**الفائدة الخامسة:** برغم أن اليهود والنصارى والمشركين العرب، يخالفون ملة إبراهيم "عليه السلام" فى الأصول والفروع، فإن انتسابهم إلى تلك الملة هو أعظم مفاخرهم. وأمرهم باتباع ملة إبراهيم، يعنى أنهم أقرب إلى الامتثال لهذا الأمر، فهم رأس التوحيد، وهم أساس تلك الملة. ذلك أن تلك الملة ليست ملة مخترعة، وإنما هى موغلة فى القدم. وبرغم وجود اختلاف بين الملتين، بسبب اختلاف الزمان، فإنهما فى الجوهر شيء واحد.

---

الرياستين". عين شيخاً للإسلام سنة ١٠٠٦هـ، وتوفى سنة ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م. من تصانيفه وترجماته: – ترجمة الرسالة القشيرية، – ترجمة بهجة الأسرار، – ترجمة ثمرات الأدوار ومرقاة الأخبار، – تاج التواريخ، – سليم نامه، – حاشية صدر الشريعة، – تذكرة تاريخ التميمية. انظر : –Abdulkadir Altunsu : a. g. e. s. s. 47- 50 .

119 – سورة الأنعام، آية ٩٠.

120 – العلامة عصام الدين: هو عصام الدين أبو الخير أحمد بن المولى مصلح الدين المعروف بـ (طاشكبرى زاده). ولد كما جاء فى ترجمته لنفسه فى آخر الشقائق النعمانية، فى ١٤ربيع الأول سنة ٩٠١هـ، وتوفى سنة ٩٦٨هـ. وله تصانيف كثيرة، أشهرها :

– الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، – مفتاح السعادة ومصباح السيادة

انظر:– طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية، ص ٣٢٥، وما بعدها ، – منق : العقد المنظوم، ص ٣٣٦، وما بعدها.

**الفائدة السادسة:** إن المراد باتباع ملة إبراهيم"عليه السلام" يعنى اتباع ملة الإسلام التى لا ضيق فيها ولا حرج، والثابتة على الحق، والتاركة للأديان الباطلة. ولهذا فسر المفسرون قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[121] بأن الله جعل لكم سعة وسهولة فى الدين، دونما حرج أوتضييق.

**الفائدة السابعة:** قال الإمام راغب[122] "الملة لا تستعمل إلا فى جملة الشرائع". ومن ثم فإن الأمر باتباع ملة إبراهيم "عليه السلام" لا يُحمل على الظاهر؛ ذلك لأن ملتنا لا تتطابق مع ملة إبراهيم "عليه السلام" فى كل شيء. والمراد بملة إبراهيم هو القدر المشترك فى الأصول، وأكثر الفروع.

**الفائدة الثامنة:** قال محمد أفندي البركوى[123] فى رسالته، نقلاً عن الزجاج[124]: "إن الدين والملة شيء واحد، وهو ما بلغه رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عن ربه "عز وجل" فى أمور الاعتقاد. أما الشريعة فهى كل

---

121 – سورة الحج، آية ٧٨.

122 – الإمام راغب : لعله يقصد الراغب الأصفهانى، وهو الحسين بن محمد بن مفضل، الإمام أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى، نزيل بغداد المتوفى سنة ٥٠٠ هـ. من تصانيفه : – أخلاق الراغب، – أفانين البلاغة، – تحقيق البيان فى تأويل القرآن، – تفسير القرآن، – تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، – درة التأويل فى متشابه التنزيل، – الذريعة إلى مكارم الشريعة، – رسالة فى فوائد القرآن، – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، – مفردات ألفاظ القرآن الكريم

انظر: – إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٣١١.

123 – محمد افندى البركوى : ستأتى ترجمته فى المبحث العشرين ضمن هذا الكتاب.

124 – الزجاج (... – ٣١١هـ/...–٩٢٣م): هو إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج أبو اسحاق النحوى اللغوى المفسر. أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه. له من الكتب :

– معانى القرآن، – الاشتقاق، – العروض، – مختصر النحو، – خلق الإنسان

انظر:– عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص٣٣.

ما يتعلق بالمعاملات". وعليه فإنه يجوز القول إننا على ملة إبراهيم؛ ذلك لأن الأنبياء يتفقون جميعهم فى الاعتقاد. مع العلم بأن الجمهور على خلاف ذلك.

يقول الإمام راغب "إن الملة مأخوذة من أمللت الكتاب، بمعنى أمليته. والأشياء التى شرعها الله "عز وجل" لعباده، على لسان أنبيائه، هى الموجودة فى الدين. وتكون الملة بموجب الدعوة الإلهية، وإنزال الكتب، ويكون الدين بإجابة الناس، وطاعتهم للدعوة الإلهية". والذى يفهم من ذلك، أن الدين والملة والشريعة هو واحد "بالذات" وثلاثة "بالاعتبار".

وقد قال القاضى[125] فى تفسير قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[126] القول السابق نفسه. ويتفق كل المفسرين، وكتاب الحواشى على أن الدين والملة والشريعة، هم بالذات شىء واحد، وهم عبارة عما شرعه الله تعالى لعباده، على لسان أنبيائه. أما بالاعتبار، فإن ثلاثتهم يختلفون عن بعضهم البعض؛ فالملة هى ما أملاه النبى المبعوث على أمته، والدين هو الإدانة بمعنى الطاعة والانقياد لله تعالى، والشريعة هى مورد المتعطشين إلى زلال رحمة الله تعالى. أى أنهم - ثلاثتهم - يشتملون على العقائد والأعمال. وما جاء فى الآية السابقة من رفع الحرج فى الدين والملة، يشمل الأعمال كذلك؛ ذلك أنه لا يعقل أن يكون هناك حرج فيها. وقد جاء فى الفقه الأكبر: "والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها". وليس هناك سؤال يشمل العقائد والأعمال. وقد أعرضنا عن ذكر إطنابه فى دفع ذلك السؤال فى آخر رسالته.

---

125 - يقصد القاضى البيضاوى.

126 - سورة البقرة، آية ١٢٠.

## المقالة الثانية: خلاصة كلام الشيخ مجيب [127]

حرر الشيخ مجيب رسالة عربية ضعيفة التأليف والتركيب، سود على ظهرها خطاباً إلى شيخ الإسلام، مفادها يستوجب إلقاءها؛ لما فيها من ردود وافتراءات مفرطة. والرسالة من أولها إلى آخرها، عبارة عن سرد ركيك للآيات الكريمة، والأخبار والروايات المتعلقة بالدين والملة، وأدلة مزعومة، دون اعتبار لأقوال المفسرين وعلماء الأصول. وكل ما جاء فى الرسالة أقوال مرسلة، وتهور مع جهل بأصول الجدل. وتلك إحدى تمويهاته فى وادى الهرطقة: "إن إضافة الملة إلى سيدنا إبراهيم "عليه السلام" إهانة وجفاء لسيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم"، واعتباره منقطعاً".

وقد كتب أحد العلماء ردوداً على هامش تلك الرسالة، منها:" إن إضافة الملة إلى سيدنا إبراهيم "عليه السلام" أمر ثابت، وادعاء الانقطاع كذب وافتراء". لكن الشيخ الذى رد على الرسالة، لم يرد على الأقوال الثلاثة التى ذكرها الشيخ مجيب فيما بعد، فى قوله:" وخلاصة الرسالة ثلاثة أقوال: أولها:أنهم يقولون إن الدخول فى ملة إبراهيم "عليه السلام" خروج من ملة محمد"صلى الله عليه وسلم"، وكفر. وثانيها:أن محمداً "صلى الله عليه وسلم" لو كان تابعاً لملة إبراهيم "عليه السلام"، لا يكون رسولاً لله، وإنما هو رسول إبراهيم "عليه السلام"، وتابع لملته. وثالثها: أنه لا تجوز الإضافة إلى ملة إبراهيم "عليه السلام"؛ لأن سيدنا محمداً أصبح منقطعاً عن رسالة إبراهيم "عليه السلام"، وصار وارثاً". ثم يضيف قائلاً: "إن قياس الملة على الميراث،

127 – الشيخ مجيب: لم أقف له على ترجمة له.

قياس مع الفارق؛ لأن ملة إبراهيم "عليه السلام" يجب أن لا تكون هى ملة محمد "صلى الله عليه وسلم" إلا إذا كان سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" عالماً، فالعلماء هم ورثة الأنبياء. والموروث هو الملة، والمورث هو الرسول. وإن جازت إضافة الملة بعد الإرث إلى الرسل، فإنه لا يصح أن تكون تلك الملة، هى ملة سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" فذلك قياس باطل".

ونقول إن اثنين من تلك الأقوال الثلاثة، محض افتراء، وعبارات الرسالة لا تؤدى إلى تلك النتيجة. أما ثالثها الذي يقول إنه قياس مع الفارق، فهو دعوى عن أصل فاسد، وقياسه هو، قياس مع الفارق. ذلك أن دعوى النبوة، دعوى مستقلة، لا تكون للعلماء، وفيها تسليم بالاتباع. فالنبى وارث للملة بحكم قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[١٢٨]، وهى وراثة تختلف عن وراثة العلماء للأنبياء.

والخلاصة أن الشيخ مجيب حظه قليل قليل فى البحث والنظر، وكلامه هرطقة. ونشير إلى أن هناك رسالة كتبت فى ذلك الباب بعنوان "قلَت بضاعة أصحابى" ترى عدم جواز القياس فى المسائل العقدية.[١٢٩]

## المقالة الثالثة: محاكمة فى بحث الملة

من المعلوم أن حب الرياسة والتفرد والتميز – باستثناء النبوة – أمر غريزى فى طبع البشر. تلك هى الجبلة التى جبل الإنسان عليها؛ لمقتضى

128 – سورة فاطر، آية ٣٢.

129 – رجعنا هنا نص مخطوطة دار الكتب المصرية، وهو "بر امر معتقديه" فهذا أنسب للمعنى مما جاء فى طبعتى على رضا وأبى الضيا، وهو "بر امر معتديه".

المصلحة وحكمة التمدن. فحب الرياسة أمر ثابت لا ينكر، حتى فى لعب الأطفال. وبعد التسليم بذلك، يكون تفرد أصناف البشر، وتميزهم فى الرياسة، بحسب الجاه والرتبة. فكلما زادت الرتبة والمنزلة، زادت الرفعة، وتظل فى زيادة، مادام صاحبها مستغنياً عن الأقران والأمثال. وهذا المعنى ليس فى الأمور الدنيوية فحسب؛ فالرياسة الدينية، أعم وأشمل. فما فتأ الملوك فى كل زمان، فى صراع وقتال، من أجل الرياسة فى الأمور الدنيوية. وفى الأمور الدينية، ما ظهر شيخان كاملان، أو قطبان واصلان، فى زمان ما، إلا واستنكف أحدهما أن يتبع الآخر. ذلك واضح فيما كان بين مولانا عبدالغفور[١٣٠]، والمولى الجامى، من نزاع ومزاحمة.

ولما كانت الأمور البشرية جائزة فى حق الأنبياء، فإننا لا ننكر مسألة الرتبة بين تلك الصفوة الجليلة، رغم أن رتبتها فوق الرتب البشرية، خصوصاً بين أولى العزم من الرسل، فهى رتبة دونها كل الرتب. وهنا ينبغى الالتفات إلى القياس، فيما يتعلق برتبة التابع والمتبوع منهم. فنحن نقول إن نبينا "صلى الله عليه وسلم" هو فخر العالم، وخاتم النبيين، وأفضل الأنبياء. وقد وردت أحاديث شريفة فى فضائل الأنبياء السابقين، توفيهم حقوقهم، وتخبر بكمال علو درجة رسول الله"صلى الله عليه وسلم" عليهم، مثل قوله "صلى الله عليه وسلم": " لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى". وتلك الرتبة تستوجب

---

130 – مولانا عبد الغفور: لعله عبد الغفور بن اللارى النحوى الحنفى، تلميذ عبد الرحمن الجامى. توفى سنة ٩١٢هـ. من تصانيفه:

– اختصار وذيل على نفحات الأنس لعبد الرحمن الجامى، – حاشية على شرح الجامى للكافية فى النحو، – مرقاة الأرواح فى التاريخ – فارسى

انظر:– إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٥٨٨.

الرعاية والتقدير الكبير لأمته.

ولا ريب أن أمم الأنبياء السابقين، ترفع قدرهم فوق قدر كل الأنبياء. لكن المذهب الحق بين أهل الإسلام، هو أن سيدنا محمداً "صلى الله عليه وسلم" هو أفضل أولى العزم من الرسل، ورسالته كاملة الاستقلال، ولا تتبع رسالة رسول غيره. وقد فصل المفسرون، وعلماء الأصول، القول فى تاويل النصوص الخاصة بظاهر الاتباع، واتفقوا على أن ملة الإسلام هى فى الأصل، ملة إبراهيم "عليه السلام"، واتباعها لا يعنى اتباع سيدنا إبراهيم "عليه السلام". وقد نقل مولانا الباحث أقوالهم، وأدلتهم فى رسالته، ولا تثريب على ناقل تلك الأقوال، وفق آداب البحث، اللهم إلا فى طلب تصحيح النقل.

أما استدلال الشيخ مجيب، ورده، فهو هرطقة لا علاقة لها بآداب البحث والنظر. والقول بأن ملة الإسلام، هى ملة إبراهيم "عليه السلام" نفسها، قول غير دقيق، لوجود اختلاف فى نسبتها إلى اثنين من أولى العزم من الرسل، والاختلاف كبير بينهما فى كثير من الفروع. وبناء على ذلك، فإن الحكم واضح فيمن يقول "أنا على ملة إبراهيم، ولست على ملة محمد". لكن القول بأننا على ملة إبراهيم"عليه السلام" قد شاع بين الناس، وصار عرفاً وعادة، ولن يلتفت أحد إلى ما فيه من خطأ فاحش، حتى وإن كتبنا فى ذلك ثمانين رسالة، وحاربت السلطنة تلك العادة!! والمطلوب هو تصحيح العبارة، فنقول " أنا من ملة إبراهيم بشكل اعتبارى"، فعبارة "أنا على ملة إبراهيم" خطأ، قد يتلفظ به الخواص العالمون بمعناه، أما العوام فلا يصح لهم، مع تحفظنا على ذلك الرأى؛ لأن فيه بلبلة للناس، وإثارة للأقاويل. إن جملة المباحث والدلائل المحررة فى ذلك، يعلمها أهلها علمياً وأصولياً وفقهياً. هذه هى نهاية كلامنا، وتمام مبحث الملة.

## المبحث التاسع عشر: الرشـــوة

ألف فقيه من المتأخرين هو الشيخ ابن نجيم المصرى[١٣١] رسالة فى هذا الموضوع. ونظراً لشيوع الرشوة فى هذا العصر، قمنا بترجمة مختصرة لتلك الرسالة. فالرشوة – بكسر الراء – اصطلاحاً، هى تقديم شيء لحاكم أو غيره؛ بغرض الحصول على حكم أو مصلحة، وأخذها يسمى "ارتشاء". ويقول أبو نصر البغدادى[١٣٢]، فى "شرح القدورية" [١٣٣]: "تمنح الرشوة بغرض المعاونة، وهذا شرط لا يوجد فى الهدية". وهذا هو الفرق بين الرشوة والهدية. والرشوة حرام فى الكتاب والسنة؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ

---

131 – ابن نجيم المصرى:هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبى بكر الشهير بابن نجيم المصرى، الفقيه الحنفى. ولد سنة ٩٢٦هـ، وتوفى سنة ٩٧٠هـ. من تصانيفه : – الأشباه والنظائر فى الفروع، – البحر الرائق شرح كنز الدقائق فى الفروع، – تحرير المقال فى مسألة الاستبدال، – التحفة المرضية فى الأراضى المصرية، – تعليق الأنوار على أصول المنار للنسفى، – حاشية على جامع الفصولين، – شرح أوائل الهداية، – الفتاوى الزينية فى فقه الحنفية، – فتح الغفار فى شرح المنار، – لب الأصول فى تحرير الأصول لابن همام
انظر : – إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٣٧٨.

132 – أبو نصر البغدادى : لعله يقصد (أبو منصور البغدادى) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمى البغدادى الشافعى المكنى بأبى منصور. توفى سنة ٤٢٩هـ. من تصانيفه : – بلوغ المدى فى أصول الهدى، – تأويل متشابه الأخبار، – التحصيل فى الأصول، – تفسير القرآن، – تكملة فى علم الحساب، – مشارق النور ومدارك السرور فى الكلام، – الملل والنحل. انظر :– إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين، ج١، ص ٦٠٦.

133 – شرح القدورية: هو أحد شروح "مختصر القدورى" للإمام "أبو الحسين أحمد بن محمد القدورى البغدادى الحنفى المتوفى سنة ٤٢٨هـ. وهو كتاب من أمهات كتب الفقه الحنفى، له شروح كثيرة تربو على أربعين شرحاً.
انظر : – كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص ص ١٦٣١-١٦٣٢-١٦٣٣.

﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[134]، وفى السنة أحاديث كثيرة فى هذا الباب، منها قوله "صلى الله عليه وسلم" لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذى يمشي بينهما".

وللرشوة أنواع، فقد حدد الفقهاء لها أربعة أنواع، جاءت فى كتاب القضاء ضمن فتاوى الإمام "قاضيخان"[135]:

النوع الأول: الرشوة المحرمة، مثل من يرشو ليحصل على القضاء أو منصب، فقد أتى محرماً بدفعه الرشوة، ومن أخذها منه، أتى حراماً أيضاً.

النوع الثانى : رشوة القاضى ليعطى حكماً، ففى تلك الحالة إعطاء الرشوة حرام، وأخذها حرام، سواء حكم القاضى بحق أو بغير حق، وقضاؤه غير نافذ.

النوع الثالث: رشوة أخذها حرام، وإعطاؤها جائز، فمن يرشو ليدفع الضرر عن نفسه وماله، لا يكون قد أتى حراماً، أما أخذها منه، فهو حرام. كذلك من يتنازل عن بعض ماله؛ ليخلص باقى ماله الذى فى يد ظالم، لايرتكب حراماً.

النوع الرابع :الرشوة التى تدفع لمصلحة عند السلطان، فهذه أيضاً دفعها جائز، وأخذها حرام. فإن أراد آخذها تخليص نفسه من إثمها، فعليه إبرام عقد إجارة للمصلحة، طيلة يوم من الصباح حتى المساء. وهذا عقد مشروع

---

134 – سورة البقرة، آية ١٨٨.

135 – الإمام قاضيخان : هو الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندى الفرغانى المتوفى سنة ٥٩٢هـ. من تصانيفه: – كتاب الفتاوى، وهو كتاب مشهور ألفه سنة ٥٩٢هـ.، – شرح الجامع الصغير، – شرح الزيادات، وسماه "الملتقط"، – شرح أدب القاضى للخصاف.

انظر:– كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص ١٢٢٧ ، – طاشكبرى زاده : مفتاح السعادة، ج٢، ص ٢٥٢.

وصحيح. فمن أراد أن يستأجره فى عمل، فله أن يستعمله أو لا يستعمله. تلك حيلة شرعية كانت سارية فى ذلك الوقت. وأما دافع الرشوة، فقد يدفعها فى البداية من أجل مصلحته، وهو لا يعلم أنها رشوة، فإن علم أنها رشوة بعد ذلك، ودفعها مرة أخرى، فهناك خلاف بين الأئمة فى ذلك. فمنهم من يرى أنها حرام، ومنهم من يرى أنها حلال، باعتبارها مكافأة على الإحسان. وهنا ينتهى كلام قاضيخان. وذلك أيضاً هو خلاصة ما جاء فى "الخلاصة"[١٣٦]، و"البزازية"[١٣٧]. أما ابن همام[١٣٨] شارح الهداية، فقد غير الأسلوب فى "فتح القدير"، فقال: "النوع الأول الذى يعطى من أجل القضاء والإمارة، رشوة. والنوع الثانى، وهو رشوة القاضى من أجل حكم، حرام على الراشى والمرتشى. والنوع الثالث، وهو مايدفع للسلطان من أجل دفع الضرر،

---

136 -- الخلاصة: قد يكون واحداً من الكتب الآتية:

– الخلاصة فى الأصول – لزين الدين محمد بن عبد الله المعروف بخطيب دمشق الشافعى – الخلاصة فى الفروع – للقاضى وجيه الدين أسعد بن المنجا الحنبلى الدمشقى المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

– الخلاصة فى أصول الحديث – لشرف الدين حسن بن محمد الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣هـ.

انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص ٧٢٠.

137 – البزازية: يقصد "البزازية فى الفتاوى" للإمام حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزازى الكردى الحنفى المتوفى سنة ٨٢٧هـ. وهو كتاب جامع نخص فيه زبدة مسائل الفتاوى. انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص٢٤٢.

138 – ابن همام: هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى السكندرى، العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفى. ولد سنة ٧٩٠هـ تقريباً. وهو فقيه حنفى له قدم راسخة فى المنقول والمعقول. توفى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٨٦١هـ. من تصانيفه:

– شرح الهداية – وسماه"فتح القدير للعاجز الفقير"، – التحرير فى أصول الدين، – المسايرة فى أصول الدين، – مختصر فى الفقه – سماه"زاد الفقير"

انظر: – طاشكبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص ٢٤٥–ت ٢٤٦ ، – إسماعيل البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص٢٠١.

أو جلب المصلحة، جائز للراشى، حرام على المرتشى. والنوع الرابع، وهو ما يدفع مخافة الضرر على النفس والمال، فهو أيضاً جائز للراشى، وحرام على المرتشى".

وهنا تنتهى رسالة ابن نجيم، والآن ندلى بدلونا فى هذا الموضوع، فنقول إن التحريم المطلق للرشوة، شائع بين الناس. هذا شيء معلوم للجميع، حتى لمن لا يعرفون معنى الرشوة. ولا خلاف بين العلماء في أخذها أو إعطائها. لكن الذى شاع الآن بين الناس، هو عدم التردد فى قبولها، مالم يكن فى ذلك أى مغرم لهم. ومن يتردد فى قبولها لا يتردد عن تقوى وورع، وإنما خشية لسان الناس، الذين صاروا يغبطون المرتشى، ويقولون عنه إنه إنسان محظوظ.

تلك هى حقيقة الحال الآن، فالناس فى زماننا هذا لايتورعون عن الرشوة. كأنى بهم يتعاملون بعقد الإجارة الذى نقلناه عن ابن نجيم وقاضيخان فى النوعين الثالث والرابع؛ حتى يتخلصوا من وزر الرشوة!! فأهل الديوان فى زماننا هذا، يأخذون الرشوة، ويعطونها، ماعدا فى القضاء؛ خشية حدوث خلل فى النظام، نتيجة الجرأة على إبطال الحق، وإحقاق الباطل.

لقد كان حكام المسلمين، فيما سلف، يحكمون إغلاق باب الرشوة، ويضبطون مصالح الناس وفق القانون؛ لمنع أسباب زوال الدولة. وهذا ماينبغى الأخذ به الآن؛ لأنه لا جدوى من الندم فيما بعد. إن أخذنا بالحيلة الشرعية، يعنى أنه لا جدوى من الكلام. إن الحديث فى هذا الموضوع، حديث ذو شجون، لقد أمسينا نوفق أوضاعنا حسب ظاهر الشرع، وهذا فساد عظيم.

## المبحث العشرون: أبو السعود أفندي ومحمد البركوى

ولد المرحوم ابو السعود أفندي عام ٨٩٦هـ. وبعدما ارتقى الدرجات وفق قانون طريق العلم، صار شيخاً للإسلام فى شعبان سنة ٩٥٢هـ، مكان محيى الدين أفندي[139]، وتوفى فى الخامس من جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ. وقد مكث الشيخ فى منصب الإفتاء ثلاثين سنة، وتفرد الشيخ بطول فترة منصبه ورياسته، مثلما تفرد السلطان سليمان خان بطول العمر والسلطنة، بين سلاطين الدولة العثمانية. وقد اضطلع أبو السعود أفندي، وكمال باشا زاده، بتطبيق أكثر قوانين الشرع الشريف فى الدولة العثمانية، وبذلا جهداً كبيراً فى إصلاح مواطن الخلل فيها.

أما المرحوم محمد أفندي البركوى، فهو ابن پير على أفندي المدرس فى باليكسر. ارتحل إلى استانبول بعد تحصيله العلوم، وصار ملازماً لقاضى العسكر عبد الرحمن أفندي. وتولى منصب القسمة العسكرية فى ادرنه. ثم انصرف إلى التصوف، وخدم المرشد الكامل للطريقة البيرامية الشيخ عبد الرحمن القرمانى، ثم عاد إلى ادرنه، ليلقن أصحابه ماحصله من العلم. ثم اشتغل بعد ذلك بتحصيل العلوم النافعة بإشارة من شيخه، فانصرف إلى علوم التفسير والحديث. وقد نال حظوة كبيرة عند مولانا عطاء الله معلم السلطان[140] الذى

---

139 – محيى الدين افندى: هو شيخ الإسلام الثالث عشر فى الدولة العثمانية، وهو حفيد المولى شمس الدين الفنارى. ولد سنة ١٤٤٧م، وتوفى سنة ١٥٤٨م. صار شيخاً للإسلام سنة ٩٤٩هـ/١٥٤٣م. من تصانيفه: – تفسير القرآن الكريم-لم يتمه، – مقالات على الهداية، – حاشية على شرح المفتاح للسيد الشريف الجرجانى

انظر : - Abdulkadir Altunsu: a. g. e. S. S. 25-26-27-

140 – المولى عطاء الله معلم السلطان سليم: نشأ بقصبة"برگى" من ولاية آيدين، وتلقي

ابتنى له مدرسة فى قصبة"برگي" ليدرس فيها؛ ولهذا سمي البرگوى.

وتوافد عليه الطلاب من كل الأرجاء، وصار وجهة أرباب الاستعداد والكمال، فكان تارة يعظ، وتارة يدرس. ثم اخترمته المنية فى جمادى الأولى سنة ٩٨١هـ، عن خمسة وخمسين عاماً، وهو يجاهد فى سبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقد نزح فى أواخر عمره إلى استانبول، والتقى الوزير الأعظم محمد باشا. وكانت كلمته مسموعة فى دفع المظالم. وله كثير من الكتب والرسائل، منها رسالة "السيف الصارم"، وفيها تحريم لأخذ الأجرة عن تلاوة القرآن، ومباشرة التعليم، وعدم جواز وقف المنقول والدراهم، وله مباحثات مع الفحول فى المعقول والمنقول. [١٤١].

كانت هناك مناظرات ومعارك علمية بين بلال زاده أفندي، وهو من مشاهير القضاة، وبين أبي السعود أفندي، وصل صداها إلى الطبقات الصدرية والجلالية؛ وذلك إثر رد أبي السعود أفندي على رسالة كتبها القاضى بلال زاده. وكان أبو السعود أفندي يأخذ برأى علماء السلف فى مسألة أحداث

=

علومه على يد مشايخ عصره، منهم شيخ الإسلام أبو السعود افندى، والمولى سعد الدين، محشى تفسير البيضاوى. ثم صار ملازماً للمولى إسرافيل زاده، ثم عمل مدرساً بمدارس عديدة. ثم عين لتعليم السلطان سليم خان، وهو أمير بلواء مغنيسيا. فلما صار سلطاناً أكرمه، وأعلى قدره.. ولما انتظم الحال على ذلك المنوال، اشتغل بإيثار حواشيه، وتقديم متعلقاته وتلاميذه إلى المناصب الجليلة. وكانت بينه وبين المفتى أبى السعود افندى مشاحة ومعاداة؛ بسبب أقوال صدرت عنه فيها تخفيف للمفتى. ولعل ذلك كان بسبب التعصب الزائد الذى كان فى طبعه، توفى فى أوائل صفر سنة ٩٧٩هـ. وله رسالة تشتمل على خمسة فنون هي الحديث والفقه والمعانى والكلام والحكمة. انظر :- منق: العقد المنظوم، ص ٤٠٧- ت٤٠٨.

141 - للوقوف على مزيد من التفاصيل عن محمد افندى البرگوى، انظر:

- بروسه لى محمد طاهر :عثمانلي مؤلفلرى، ج١، ص ٢٣٥.

الفتنة، وكان بلال زاده، يرى خلاف ذلك، فاغتنم تلك الفرصة، واقم المفتى بالمداهنة وحب الظهور، من باب "خالف تعرف"، وشنع عليه تشنيعاً كبيراً. هذا وفق رواية"ذيل الشقائق" التى نقلناها عنه.

لقد كان محمد أفندي البرگوى مدققاً ومحققاً فى العلوم الشرعية. وقد سمعنا من بعض المشايخ، أنه صرف شطراً من عمره لدراسة علم المنطق. بيد أنه كان لا يميل إلى الحكميات كلها؛ ولذلك أنكرها فى تصانيفه. كذلك لم يكن مقبلاً على دراسة التاريخ للوقوف على أعراف الناس وأحوالهم. ولأن الشيخ كان متشرعاً وتقياً، ألف كتاباً سماه "الطريقة المحمدية" شنع فيه على المتصوفة فى رقصهم، ودورانهم، ودراهمهم المضروبة، وأبان فيه عن مفاسد الناس فى المعاملات. فقد كان الشيخ لا يعترف بالعرف والعادة. كما كتب رسالة "السيف الصارم"، يقول فيها "هذه رسالة فى تحريم وقف النقود بلا وصية. وهى رد على رسالة كتبها أبو السعود أفندي، فى ذلك الموضوع، وقع السهو فى مواضع كثيرة بها، فكان لزاماً أن أرد عليها، حتى يقف الناس على مابها من سهو، ولا يقعوا فى الإثم، بينما هم يرجون المثوبة. وحتى لا يعتمد عليها الحكام ، فى أخذ الأحكام؛ لأنها ليست أهلاً لذلك، حتى لا يكون لهم عذر يوم القيامة. إنها رسالة مخالفة للأصول والفروع، ومناقضة للمعقول والمنقول، وأنا أنكرها، وأراها فتنة للناس، ويجب على كل مستطيع أن يغيرها. لكننى لا أظن أن أحداً يستطيع أن يتصدى لها؛ بسبب الجهل والجبن. ولهذا يتحتم على، أن أنهى الناس عن هذا المنكر بالقلم واللسان، حتى لا تدركنى لعنة الإلجام بسبب الكتمان".

لقد أردنا من نقلنا هذا القدر من كلام الشيخ، أن نظهر مبالغته فى التحامل

على الشيخ أبي السعود أفندي. وبغض النظر عما كان بينهما من مشاحة، فإن رأى الشيخ لا يفيد؛ لأنه مخالف للعرف والعادة. وكان للشيخ أتباع كثيرون، ساروا على نهجه، وتقلبوا بين الإفراط والتفريط فى مسائل كثيرة.

## المبحث الحادى والعشرون: السيواسى وقاضى زاده

السيواسى هو الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محرم بن محمد زيليكه المعروف بالسيواسى. كان خليفة للشيخ شمس أفندي السيواسى، شيخ الطريقة الخلوتية. ارتحل إلى استانبول، وصار شيخاً فى زاوية تنسب إليه. وعندما شيد المرحوم السلطان أحمد، الجامع الجديد، تولى الوعظ فيه. توفى فى جمادى الآخرة، سنة ١٠٤٩هـ، وكانت سنه قد تجاوزت الثمانين. له بعض الرسائل التركية، وله شعر بالتركية، يتخلص فيه بـ "شيخى". وكان من عادته أن يرتل سورة الفاتحة بتنغيم جميل، قبل مجلس الوعظ. وحكى عنه أصحابه كرامات كثيرة.

أما الإمام قاضى زاده، فهو الشيخ محمد أفندي بن القاضى مصطفى أفندي الطفانى الباليكسرى. حصل مقدمات العلوم فى بلاده، على يد الشيخ محمد أفندي البركوى، ثم ارتحل إلى استانبول، فعمل معيداً لطورسون زاده المدرس، ثم اختار سمت المشيخة. ثم اشتغل فترة بالرياضة الروحية فى خدمة عمر أفندي، شيخ تكية الترجمان، لكنه لم يجد فى نفسه هوى للتصوف، فعاد إلى سلوك طريق النظر. وعكف زمنا طويلاً على التدريس فى جامع مراد باشا، ثم صار واعظاً للسلطان سليم، مكان فضل الله أفندي بركوى زاده. ثم داوم على إلقاء الدروس فى مسجد بالقرب من بيته، حتى اشتهر بالوعظ والتدريس. توفى

سنة ١٠٤٥هـ، وهو واعظ فى جامع آياصوفيا، وقد تجاوزت سنه الخمسين.

وقد دارت بين هذين الشيخين حرب البسوس؛ نظراً للاختلاف الكبير فى مشاربهما. كان كلا الشيخين على طرف نقيض مع الآخر، أحدهما مُفْرِط، والآخر مُفَرِّط، كما ذكرنا فى المباحث السابقة. واستمرت الحرب بينهما زمناً طويلاً، وامتدت إلى أتباعهما من بعدهما. كما انقسم العلماء فيهما إلى فريقين، ينحاز كل واحد منهما إلى أحد الشيخين. أما أولو النهى من العلماء، فكانوا يرون أن هذه غوغائية فارغة، سببها التعصب، فنحن إخوان فى الدين، ولن يمنحنا السيواسي الشفاعة، ولن يلهمنا قاضى زاده الحجة. إنهما شيخان فاضلان، بينهما اختلاف مشهور، يعلم به السلطان. ولقد أخذ الشيخان حظهما من الدنيا، ومن الحماقة أن نظل موزعين بينهما، فلن نجنى من ذلك إلا البوار.

إن الحمقى هم الذين يصرون على التشبث بدعوى الشيخين؛ طمعاً فى الشهرة. وسيؤدى استمرار هذا التراشق، إلى حروب باللسان، وحروب بالسيوف والسنان، وستضطر السلطنة إلى وضع حد لذلك، بنفى أحد الفريقين. فمن الواجب على سلطان المسلمين، أن يضرب على يد أهل التعصب؛ لأن حروب التعصب القديمة، تمخضت عنها أهوال كثيرة. ومن الواجب عدم إتاحة الفرصة لأنصار الشيخين بتجاوز حد الصلاح، أو تحقيق نصر على الطرف الآخر. فنظام العالم يقوم على التزام الناس بالحدود، ورحم الله إمرأً عرف قدر نفسه، ولم يتعد طوره.

## الخاتمة: التحدث بالنعمة وبعض الوصايا

أما التحدث بالنعمة، فهو أن محرر تلك الرسالة، هو مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفه، والمعروف بين العلماء بـــ "كاتب چلبى". ولد فى القسطنطينية، وكان والده ضمن الزمرة العسكرية؛ ولذلك ألحق ولده بتلك الزمرة، جرياً على العادة. وبمقتضى أحكام الطالع والكواكب، كان لديه [يعنى نفسه] ميل غريزى إلى صنعة القراءة والكتابة. وفى سنة ١٠٣٢هـــ، التحق بقلم محاسبة الأناضول، وخرج فى حملة ترجان سنة ١٠٣٣هـــ، ثم خرج فى حملة بغداد سنة ١٠٣٥هـــ، وبعد ذلك عين تلميذاً فى قلم مقابلة السوارى، وتعلم به كل ما يتعلق بفن الكتابة والحساب وخط السياقت. وشارك فى حصار أرضروم سنة ١٠٣٦/١٠٣٧هـــ، ورجع إلى استانبول مع عساكر الإسلام، سنة ١٠٣٨هـــ.

ثم تصادف أن التقى العلامة المشهور قاضى زاده المذكور آنفاً، ذات يوم فى مجلس وعظ، فى جامع السلطان محمد الفاتح، واستمع إلى كلامه البليغ المؤثر، فتأثر به. وكان أكثر كلام الشيخ يدور حول ترغيب الناس فى تحصيل العلم الشريف، والتخلص من ربقة الجهل، فهيج ذلك الكلام خاطره، وجذبه إلى طلب العلم والتحصيل. فشرع فى إعادة تحصيل مقدمات العلوم، حسب وصية والده، واستطاع فى وقت يسير أن يمتلك ملكة الإعراب والتركيب. وداوم التخلف إلى دروس الشيخ المذكور، والاستماع إلى مواعظه، عندما خرج خسرو باشا فى حملته. ثم خرج فى حملة همدان وبغداد سنة ١٠٣٩هـــ، ورجع إلى القسطنطينية سنة ١٠٤١هـــ، فلازم دروس شيخه المذكور مرة

أخرى. كان الشيخ يدرس التفسير، وإحياء علوم الدين[142]، والمواقف[143]، والدرر[144]، والطريقة[145]. وكانت أكثر دروسه مبسطة؛ لأنه لم يكن له اطلاع على المعقولات، وعندما كان يصادف فى التفسير موضعاً يتعلق بالمعقولات، كان يقول:

هل يساوى كلام الفلسفة فلساً

وهل يفتح الصراف له كيساً؟!

مصراع

لا غم مادام هناك المناطقة

وذلك كلام من قبيل "المرء عدو لما جهل". لقد كانت هناك مطارحات جدلية كثيرة، حول مسألة خلق العالم، وصنفت فيها تصانيف كثيرة، كان

142 – إحياء علوم الدين: أحد كتب حجة الإسلام أبى حامد الغزالى الطوسى.

143 – المواقف : المواقف فى علم الكلام، هو أحد كتب العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجى القاضى المتوفى سنة ٧٥٦هـ.

انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص١٨٩١.

144 – الدرر: لعله درر البحار فى الفروع، للشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن يوسف بن إلياس القونوى الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ٧٨٨هـ. وهو متن مشهور وله شروح كثيرة. انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص ٧٤٦.

145 – الطريقة: لعله "الطريقة المحمدية" للشيخ محمد البركوى المتوفى سنة ٩٨١هـ. وهو على ثلاثة أبواب، الأول فيه ثلاثة فصول، الأول فى الاعتصام بالكتاب والسنة، والثانى فى البدع، والثالث فى الاقتصاد. والباب الثانى فيه ثلاثة فصول، الأول فى تصحيح الاعتقاد، والثانى فى العلوم المقصودة لغيرها، والثالث فى التقوى. والباب الثالث فى أمور ظنت من التقوى، وليست منها، وفيه ثلاثة فصول، الأول فى الدقة فى أمر الطهارة، والثانى فى التورع من طعام أهل الوظائف، والثالث فى أمور مبتدعة.

انظر: – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص ٧٤٦.

أكثرها يتناول المسائل التى توافق دعوته، ويتمتع بالبراعة فى عرضها فى موضعها؛ لإفحام خصمه، عملاً بمقولة "نعم الناصر الجواب الحاضر". وبهذا المنطق، جدد قاضى زاده مسألة قديمة هى مسألة الرقص والدوران، فاكتسب بذلك عداوة أهل التصوف من الخلوتية والمولوية وحراس الأضرحة. ولم تخل موعظة له من التشنيع عليهم.

أما المتصوفة، فقد أطلقوا لسانهم فيه، فقال عنه السيواسى أفندي[١٤٦]، وإسماعيل دده[١٤٧] إنه "منكر للأولياء، وزنديق ملحد". وقد طال النزاع بين الطرفين، فى مسائل والدى الرسول"صلى الله عليه وسلم"، والتصلية والترضية، وصلاة الرغائب وليلة القدر، وأدى ذلك إلى مجادلات، ومباحث كثيرة.

ورغم أن قاضى زاده، كان عالماً خلوقاً، فإنه كان يتصرف بخفة فى المسائل الخلافية، ويرى أنه لكى يتفوق على الجميع، ويصبح معروفاً عند السلاطين، عليه أن يعمل وفق قاعدة "خالف تعرف". وتبعه فى ذلك كل الحمقى الذين أصابهم بلاء التعصب، والغوغائية العقيمة. والآن فإن شيعة قاضى زاده، متهمون بالإفراط والتعصب. لكن الفقير [يعنى نفسه] برأ من ذلك، ولزم منهج الاعتدال. وهذا ماجعله يكتب تلك الرسالة؛ حتى يتبرأ من تلك التهمة.

وفى سنة ١٠٤٣هـ، صار الوزير الأعظم محمد باشا قائداً للجيش، فخرج [يعنى نفسه] مع الجيش إلى معسكر حلب، بنية تكرار الحج الشريف، وتيسر له السفر من حلب إلى الحجاز. وبعد الحج والزيارة، رجع إلى الجيش،

---

146 – السيواسى افندى:هو إسماعيل افندى السيواسى المتوفى سنة ١٠٤٧هـ. من تصانيفه:
– شرح ملتقى الأبحر فى الفقه الحنفى، أسماه "الفرائد" وهو فى أربعة مجلدات.
انظر: – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص ١٨١٥.

147 – إسماعيل دده: لم أقف له على ترجمة.

وهو فى ديار بكر. والتقى فى ذلك الشتاء بعض علماء ديار بكر، واستفاد منهم. ثم خرج فى حملة روان سنة ١٠٤٤هـ، مع السلطان مراد، ورجع سنة ١٠٤٥هـ، وهو عازم بنية صادقة على تصحيح وجهته. لقد شاهد طوال عشر سنوات حروباً ووقائع كثيرة، وتحقق له الغزو والحج، والآن صار شعاره "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر". فعقد العزم على أن يصرف العمر العزيز، باذلاً النفس والنفيس، فى تحصيل العلم الشريف.

فلما بلغ استانبول وهو بتلك النية، شرع فى تحرير كتاب "كشف الظنون" بإلهام إلهى، معتمداً على الكتب التى طالعها فى دكاكين الوراقين فى حلب. وانفق على هذا الكتاب مالاً حصله عن طريق الإرث، لدى وصوله إلى استانبول. وفى سنة ١٠٤٦هـ، تيسر له الاطلاع على كل الكتب التى ذكرها فى كشف الظنون، فقد كان لديه ميل فطرى إلى قراءة كتب التواريخ والطبقات والوفيات. وفى سنة ١٠٤٧هـ، أصاب مالاً وفيراً ورثه عن تاجر ثرى من أقاربه، فيسر ذلك الأمر له، ببركة صدق العزيمة، وخلوص النية. لقد يسر الله له سبل تحصيل العلوم، بفضل ميله الطبيعى، وتيسير أسباب التمكين فى الرزق، فاستطاع فى زمن يسير، أن يقطع شوطاً كبيراً. لقد انفق على ذلك الكتاب أموالاً طائلة من ميراثه، والباقى جدد به منزله، ودبر به لوازمه، وتبقى لديه رأس مال ادخره لمعاشه.

ولما بلغ السلطان مراد خان روان، وهو فى طريقه لفتح بغداد، أبى أن يخرج معه، وتعلل بمشاغله. وفى ذلك الوقت كان الشيخ مصطفى الأعرج[148]،

148 – الشيخ مصطفى الأعرج : هو أحد شيوخ كاتب چلبى، توفى سنة ١٠٦٣هـ. تلقى على يديه علوم الفقه والفلسفة والكلام والمنطق.
انظر : – كاتب چلبى : كشف الظنون، ج١، ص و.

قد ترك القضاء، وتفرغ للتدريس، فراح يتخلف إلى دروسه فى تفسير البيضاوى، من البداية. كما حضر كل دروسه فى المعقول والمنقول، واتخذ من ذلك الشيخ استاذاً له، وصارت بينهما ألفة وصحبة دامت لفترة طويلة. كما تخلف إلى دروس الشيخ عبد الله أفندي الكردى[١٤٩] سنة ١٠٤٩هـ، فى جامع آيا صوفيا. وتخلف كذلك إلى دروس الشيخ محمد أفندي گچى[١٥٠] فى جامع السليمانية سنة ١٠٥٠هـ. وكان الشيخ عبدالله أفندي حجة في العلوم العقلية والنقلية، ومحققاً ومدققاً فى اللغة العربية. وكان عندما يصل إلى المعقولات يقول"هذا لا نعلمه، فإن كان هناك من يعلم فليقل لنا"، بخلاف قاضى زاده، الذى كان يذم ما لا يعلمه، وينكره.

وفى سنة ١٠٥٠هـ، جاء ولى أفندي[١٥١]، تلميذ أحمد حيدر السهرانى[١٥٢]، فدرس علوم المنطق والمعانى والبيان. وفى سنة ١٠٥١هـ، لخص فى دفتر تواريخ ملوك نحو مائة وخمسين دولة، وسماها "الفذلكة"، وبيض منها نسخة، وأعطاها لشيخ الإسلام يحيى أفندي[١٥٣] ليرسلها للسلطنة، لكنه أهملها.

---

149 – الشيخ عبد الله افندى الكردى: هو عبد الله بن محمد الكردى المدرس، تولى قضاء المدينة المنورة، وتوفى سنة ١٠٦٤هـ. له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوى.

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٤٧٧.

150 – محمد افندى گچى : لم أقف له على ترجمة.

151 – ولى الدين افندى المنتشاوى: توفى سنة ١٠٦٥هـ، وهو أحد شيوخ كاتب چلبى، والراوى عن العلامة المحدث إبراهيم اللقانى المصرى.

انظر : – كاتب چلبى : كشف الظنون، ص و – ز.

152 – أحمد حيدر السهرانى: لم أقف له على ترجمة.

153 – شيخ الإسلام يحيى افندى (١٦٠٩–١٦٧٨م): هو يحيى افندى بن عمر افندى منقارى زاده. وهو شيخ الإسلام الثانى والأربعون فى الدولة العثمانية. ولد فى ابرادى، وتلقى مبادئ العلوم على يد والده. عمل مدرساً فى مدارس كثيرة، ثم سلك مسلك القضاء فى بلاد كثيرة، =

وفى سنة ١٠٥٢هـ، بدأ فى دراسة النخبة[154]، والألفية[155] على يد الواعظ ولى أفندي؛ لاتصال السند، فقد تلقى الشيخ المذكور السند فى علم أصول الحديث عن الشيخ إبراهيم اللقانى[156] فى مصر، وبذلك أصبح سند هذا الفقير [يعنى نفسه] متصلاً برسول الله (صلى الله عليه وسلم). واستمر منكباً على التحصيل فى سنتى ١٠٥٣هـ، و١٠٥٤هـ ، وظل على تلك الحال عشر سنوات، يصل الليل بالنهار، أتيح له خلالها مطالعة كثير من الكتب، وتحصيل علوم كثيرة، دون كلال أو ملال.

---

=

منها مكة ومصر. ثم صار قاضياً للعسكر فى الروملى، ثم شيخاً للإسلام سنة ١٦٦٢م/١٠٧٣هـ، لكنه سرعان ما أصيب بالفالج فترك المشيخة وتقاعد. من تصانيفه:

- حاشية على تفسير القاضى البيضاوى، - حاشية على الآداب العضدية، - التبيان فى آداب القرآن، - فتاوى منقارى زاده. انظر : Abdulkadir Altunsu: a. g. e. S. 93 .-

154 - النخبة: لعله يقصد "نخبة التواريخ" وهو بالتركية فى مجلدين لمحمد بن محمد الأدرنوى المتوفى سنة ١٠٥٠هـ، جمع فيه تواريخ ملوك الإسلام إلى سبع وثمانين دولة، وأهداه إلى السلطان العثمانى سنة ١٠٣٠هـ. يقول كاتب چلبى عن هذا الكتاب: "كنت راغباً فى تحصيله برهة من الدهر، إلى أن قدم مؤلفه مع تأليفه وزارنى.. ثم لما ترك عندى كتابه بخطه، رأيت أنه مترجم من تاريخ الجنابى مع فوات كثير، وإلحاق يسير، فلم يعجبنى ذلك.. "

انظر : - كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص ١٩٣٦.

155 - الألفية:لعله يقصد "الألفية فى النحو" للشيخ العلامة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله الطائى الجيانى المعروف بابن مالك المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

انظر : - كاتب چلبى : كشف الظنون، ج١، ص ١٥٢.

156 - الشيخ إبراهيم اللقانى: هو إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن على بن على بن عبد القدوس اللقانى، العارف بالله أبو الإمداد المصرى الماكى، توفى سنة ١٠٤١هـ. من تصانيفه: - إجمال الوسائل، - بهجة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل، - تعليق الفرائد على شرح العقائد للنسفى، - تفسير القرآن، - جوهرة التوحيد، - عقد الجمان فى مسائل الضمان.

انظر : - إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٣٠-٣١.

وكان الطلاب يفدون إليه، ويستفيدون منه، وابتدأ بتدريس مقدمات العلوم. وكان الشيخ يحيى أفندي يقول له "هل تلقى الدروس، وتقرأ الحواشي؟" وكان الفقير يجيبه قائلاً "إننى ألقى الدروس، لكن التزامى بالحواشي أمر نادر." فقد كان منهج الفقير هو الدخول من الوحدة إلى الكثرة، والإحاطة بالكليات، وضبط الأصول، وعدم تضييع الوقت فى التقيد بالجزئيات والحذلقة. ولم يكن يرض بالبراعة فى علم واحد فحسب.

كانت حملة كريت سنة ١٠٥٠هـ، وفى تلك السنة أقبل برغبة فطرية على دراسة الكرة الأرضية، ورسم عدة خرائط لها، وقرأ كل ماكتب ورسم فى هذا الموضوع. وفى تلك الأثناء وقع نزاع بينه وبين رئيس خلفاء المقابلة [فى الجيش] الذى قال له" لقد أمضيت خمساً وعشرين سنة فى الخدمة، ولم يعد لك مكان فى الخلافة، بحسب القوانين"، فترك الخدمة، وآثر الاعتزال. وقد جاء ذلك متوافقاً مع دراسته، فانزوى ثلاث سنوات تفرغ خلالها للكتابة والتدريس، وقرأ نصف الأصول على يد الشيخ الأعرج، كما قرأ عليه "شرح العضد" [١٥٧] و"شرح أشكال التأسيس"[١٥٨]، و"شرح الجغمينى"[١٥٩]، والعروض

---

157 – شرح العضد:لعله يقصد "شرح العضدى" الذى ألفه أبو على الحسن بن أحمد الفارسى النحوى، المتوفى سنة ٨٧٧هـ، وقدمه لعضد الدولة؛ ولذلك سمى "العضدى".
انظر: – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص١١٤٢.

158 – شرح أشكال التأسيس :هو شرح العلامة موسى بن محمد الشهير بقاضى زاده الرومى المتوفى سنة ٨١٥هـ بسمرقند لكتاب "أشكال التأسيس فى الهندسة" للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أشرف السمرقندى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠هـ.
انظر: – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص١٠٥.

159 – شرح الجغمينى: هو أحد شروح كتاب" الملخص فى الهيئة" لمحمود بن حمد الجغمينى الخوارزمى. وهو مختصر مشهور مرتب على مقدمة ومقالتين، المقدمة فى أقسام الأجسام،

الأندلسي، واطلع على دستور تقويم "زيج الوغ بك"[160]. وكان قبل ذلك قد استمع إلى دروس فى التفسير، والتوضيح[161]، والأصفهانى[162]، والقاضى مير[163]، وآداب البحث، والفنارى، وشرح التهذيب[164]، والشمسية[165]. كما أتم فى تلك الفترة مقدمات الصرف، وقرأ فى المنطق الفنارى، وشرح الشمسية، والجامى، والمختصر، والفرائض[166]، والملتقى،

=

والمقالة الأولى فى الأجرام العلوية، والثانية فى البسائط السفلية. ومن أشهر شروحه، شرح موسى بن محمود المعروف بقاضى زاده الرومى.

انظر: – كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص١٨١٩.

160 – زيج الوغ بك: ألفه محمد بن شاهرخ. وهو على أربع مقالات: الأولى فى معرفة التواريخ، والثانية فى معرفة الأوقات والطالع، والثالثة فى معرفة سير الكواكب ومواضعها، والرابعة فى موافى الأعمال النجومية. وله شروح كثيرة.

انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص٩٦٦.

161 – التوضيح: لعله يقصد "التوضيح فى مختصر ابن الحاجب" لمحمد بن حسن المالقى المتوفى سنة ٧٧١هـ. وهو مختصر "منتهى السؤال والأمل فى علم الأصول والجدل".

انظر : – كاتب چلبى، ج١، ص ٣٢٦.

162 – الأصفهانى: يقصد الإمام راغب الأصفهانى المتوفى سنة ٥٠٠هـ.

163 – القاضى مير: هو حسين بن معين الدين المبيدى الحسينى. له شرح هداية الحكمة للأبهرى.

انظر : – كاتب چلبى : كشف الظنون، ج٢، ص٢٠٢٩.

164 – شرح التهذيب :لعله يقصد شرح جلال الدوانى لكتاب "تهذيب المنطق والكلام" للعلامة سعد الدين التفتازانى. وهو كتاب مشهور له شروح وحواش كثيرة فى بلاد الروم.

انظر: – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص٥١٥.

165 – الشمسية: هى متن مختصر فى المنطق لنجم الدين عمر بن على القزوينى المعروف بالكاتبى، تلميذ نصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٩٣هـ. ولها شروح كثيرة، أشهرها شرح قطب الدين محمد بن محمد الرازى (التحتانى)وهو شرح جيد متداول بين الطلبة. وعليها حواش كثيرة أيضاً. انظر : – كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص ١٠٦٣.

166 – الفرائض:لعله يقصد "فرائض السجاوندى" وهو الإمام سراج الدين محمد بن محمود عبد الرشيد السجاوندى الحنفى. وهو كتاب مشهور عند الروم وله شروح كثيرة جداً.

=

والدرر. كما قرأ القاضى مير، وشرح المقاصد[167].

وبينما هو كذلك، اعتلت صحته، فكان ذلك سبباً فى انشغاله بدراسة الطب، ودراسة علم الحروف والأسماء والخواص؛ من أجل العلاج الروحى، فبرأ وطاب. وفى سنة ١٠٥٧هـ تقريباً، تلقى دروس الرياضيات على يد المولى محمد أحمد رومى اوغلى الآقحصارى، وكان من علماء عصره، ويسكن بالقرب من منزل الفقير، فقرأ عليه "شرح الأشكال" فى الهندسة، ومحمدية على القوشجى[168] فى الحساب، وشاهد قاعدة استخراج دستور التقويم من الزيج.

---

انظر: - كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص١٢٤٧، وما بعدها.

167 – شرح المقاصد: لعله يقصد شرح "المقاصد" فى علم الكلام للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى. وقد رتبه على ستة مقاصد، وفرغ من تأليفه سنة ٧٨٤هـ، بسمرقند. وعليه شرح جامع، وشروح أخرى كثيرة. انظر:- كاتب چلبى: كشف الظنون، ج٢، ص١٧٨٠.

168 – على القوشجى: هو علاء الدين على بن محمد القوشجى. كان أبوه من خدام الأمير الوغ بك ملك ماوراء النهر. قرأ على علماء سمرقند، وقرأ على المولى قاضى زاده الرومى العلوم الرياضية، وقرأها أيضاً على الأمير الوغ بك. ثم ذهب إلى بلاد كرمان فقرأ هناك على علمائها، وسود هناك شرح التجريد. ثم عاد إلى سمرقند، ووصل إلى خدمة الوغ بك، الذى كان قد بنى مرصداً فى سمرقند، فعينه به، وكتب ماحصل له من الرصد، وهو المشهور بالزيج الجديد لألوغ بك. ثم حج وذهب إلى تبريز، فأكرمه أميرها، وأرسله رسولاً إلى السلطان محمد الفاتح، فأكرمه إكراماً عظيماً، وسأله أن يسكن فى ظل حمايته، فأجاب فى ذلك، وعهد إليه أن يأتى بعد إتمام الرسالة. فلما أدى الرسالة، أرسل السلطان إليه من خدامه فخدموه فى الطريق، وصرفوا له فى كل مرحلة ألف درهم، فأتى القسطنطينية بالحشمة والوقار. وقدم إلى السلطان رسالته فى الحساب، وسماها المحمدية، ثم صنف رسالة فى علم الهيئة باسم السلطان، وسماها الفتحية. ولما رجع السلطان إلى القسطنطينية، أعطاه مدرسة آياصوفيا، وعين له كل يوم مائتى درهم. من تصانيفه:

- شرح التجريد، - الرسالة المحمدية، - الرسالة الفتحية، - حاشية على أوائل شرح الكشاف، - عنقود الزواهر فى الصرف، - رسالة فى مباحث الحمد، - محبوب الحمائل

انظر : - طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية، ص ٩٧ وما بعدها.

وكانت مشكلات ذلك العلم من المسائل البديهية فى نظره. وما كاد يبلغ نصف المحمدية حتى كتب لها شرحاً ظل مسودة لم تبيض. وقد رجاه خمسة عشر طالباً درسوا المحمدية أن يكمل الشرح لكن همته انقطعت دون إتمام ذلك، واعتراها الفتور.

وقبيل انتهاء فترة الاعتزال والانقطاع، أتم فى شهرين كتاب "تقويم التواريخ" فى مجدولة باللغة التركية، والفارسية. وهو يعتبر فهرساً للفذلكة التى كتبها آنفاً، وقد قدمه فى أواخر سنة ١٠٥٨هـ، شيخ الإسلام عبدالرحيم أفندي إلى الوزير الأعظم قوجه محمد باشا، وقال له "هذا كتاب عظيم القيمة، لايريد صاحبه من ورائه منصباً ولا جاهاً دنيوياً". وكان قد تخلف إلى دروس الشيخ، وله معه مطارحات علمية. وكان الشيخ يعرف قدره، ويدعوه أحياناً لمشاورته فى بعض الأمور التاريخية، ويعتبره حجة فى ذلك الباب. وهذا ما جعل خصومه، يبذلون جهودهم، وأموالهم لقطع علاقته بالباشا المذكور، لكن مسعاهم خاب، ومنحه الباشا رتبة الخليفة الثانى، فانتصرت بركة العلم والتوكل، على أموالهم. وسرعان ماصار هؤلاء المخذولون بدداً، وعاشوا يتكففون، وانصرفوا عن طلب الحكمة، ورضوا بما هم عليه.

وفى سنة ١٠٥٩، و١٠٦٠هـ، اتجه إلى مطالعة الكتب الغربية، وراح يدرس للطلاب كتب الطب والرياضيات والحكمة. فدرس لهم الفصل الثالث فى النجوم، والاسطرلاب، ودرس قاضى زاده الرومى فى شرح الجغمينى، ودرس فتحية على القوشجى.

وفى سنتى ١٠٦١، و١٠٦٢هـ، كتب الجزء الأول من سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ووصل إلى حرف التاء، وبيضه. وهو كتاب يحتوى على سير

علماء السلف والخلف. وفى سنة ١٠٦٣هـ، كتب كتاب "تحفة الأخيار فى الحكم والأمثال والأشعار" مرتباً على حروف المعجم، ووصل إلى حرف الجيم وبيضه. أما كتاب "كشف الظنون" فقد نقل فيه من كتب التواريخ والطبقات التى طالعها فى دكاكين الوراقين، والتى تبلغ عدة آلاف من المجلدات، أكثر من ثلاثمائة علم، ورتبها على حروف المعجم. وقد استغرق ذلك عشرين سنة، وتناول فيه مباحث ومسائل غريبة. ولما رأى العلماء مسودته، رجوه أن يبيضه، فأجابهم إلى ذلك، وانتهى المجلد الأول عند حرف الحاء، فعرضه على علماء عصره، فنقحوه وحسنوه. وبعد ذلك شرع فى جمع كتاب "جهان نما" فى الجغرافيا، وكان قدأعده فى وقت سابق، وهو ترجمة لكتاب "أطلس ماجور" الفرنسى، وبه مالم يرد فى الكتب الإسلامية عن ممالك الكفار.

كما قام بالاشتراك مع الشيخ محمد إخلاصى، وهو راهب فرنسى اعتنق الإسلام، بترجمة كتاب "أطلس مينور" عن اللغة اللاتينية، وسماه "لوامع النور". وبعد ذلك شرع فى تبييض كتاب "جهان نما". كما قام بترجمة كتاب "تاريخ الإفرنج" وهو ترجمة لملوك الكفار. وله ترجمة لتاريخ القسطنطينية بعنوان "رونق السلطنة". وقد استفتاه بهائى أفندي، عندما كان شيخاً للإسلام فى ثلاث مسائل غريبة، فكتب جوابه فى رسالة. كما حرر رساله باسم"دستور العمل" تتعلق بنظام الدولة.

وفى سنتى ١٠٦٤، و١٠٦٥هـ، قام بجمع المسائل الغريبة فى قانون نامه، وفتاوى المفتين بخطهم، ونقلها فى كتاب سماه"رجم الرجيم بالسين والجيم". كما بدأ فى انتخاب فوائد نحو أربعة آلاف رسالة مفهرسة من مجموعات موجودة بالمكتبات تبلغ نحو ثلاثمائة مجلد، ثم كتب خلاصتها فى مجموعات

قسمها إلى قسمين، كتب فى كل قسم نوادر التواريخ والطبقات على غرار "نگارستان" للغفارى.

وفى سنة ١٠٦٦ هـ كتب كتاب "تحفة الكبار" وهو عن الحروب البرية وأمور الترسانة، بعدما رأى تردى أوضاع الأسطول. ثم حرر تلك الرسالة [يعنى كتاب ميزان الحق] فى السابع من صفر سنة ١٠٦٧ هـ. وهو الآن ينفق يوماً أو يومين من الأسبوع فى تصريف شئون المعاش، ويعكف باقى وقته على المذاكرة والمطالعة والكتابة. وكله أمل أن يقضى باقى عمره على تلك الحال.

## البشرى:

عند شروع هذا الفقير فى تحرير تلك الرسالة فى ليلة الأحد الرابع والعشرين من شهر محرم سنة ١٠٦٧هـ، رأى فى منامه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، غازياً متمنطقاً سيفه، فى فلاة. وكان أصحابه وأنصاره، يحيطون به فى مكان بعيد، يستفتونه فى بعض مسائل العلوم وهم وقوف، فيفتيهم. ورأى الفقير نفسه بينهم جاثياً يقبل ركبتى رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، ويقول :"يارسول الله، لقنى اسماً؛ حتى انشغل به". فقال له: "انشغل باسم الرسول". وعند سماعه هذا، هب من نومه.

وفى هذه الرؤيا، إشارة إلى كثير من المعانى؛ أولها، أن ظهوره (صلى الله عليه وسلم) غازياً متمنطقاً سيفه، فيه إشاره بالنهوض للجهاد لمحاربة الكفار الذين استولوا على بعض الجزر. كما أن فيه إقراراً فى ضمير التصور بما كتبه الفقير عن غزوات السلف. أما تأويل الأمر بالانشغال باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو إشارة إلى المعنى الذى قصده الفقير فى آخر رسالة [دستور العمل]

عن طريق التعمية. فقد كانت هناك أمور متعلقة به فى تلك الأثناء. وجاء هذا اللفظ بالبشرى له، حاملاً فى طياته تنبيهاً صريحاً إلى هذا المعنى. ذلك أن [هذا الفقير] كان ملتزماً بالعلوم الشرعية فقط فى أول أمره؛ فكان يقرأ فى أصول الفقه، والفروع، ويتلقى على يد بعض المشايخ علوم التفسير والحديث. ثم اتجه مؤخراً إلى دراسة الرياضيات والمعقولات، وترك العلوم الشرعية. [وتأويل أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم)] هو" عليك التوسل بنا فى طريق الوصول إلى المقصود؛ بمعنى أنك إذا كنت تطلب اسم الله، فإن بلوغ ذلك يكون بواسطتنا؛ ولهذا كان الأمر بالانشغال بالتوسل بالرسول". فالطيران يلزمه جناحان، هما المعقول والمنقول. وحينئذ، عاود الفقير مواصلة دراسة المنقول، والله الموفق. وهذا ما تيسر للفقير فى ليلة الأربعاء الرابع من محرم سنة ١٠٦٧هـ. لقد رأى الفقير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مرتين ولله الحمد والمنة. وهنا ينتهى التحدث بالنعمة، ونبدأ الآن فى ذكر الوصايا.

## الوصية الأولى: إلى سلطان الأنام أيده الله تعالى، وأيد دولته إلى يوم القيام:

أوصيه بأداء الفرائض والواجبات، والعلم بعقيدة الإسلام، والالتزام بالدين والعلم، والإحاطة بشئون الدنيا المتمثلة فى أحوال الرعايا والعسكر والخزانة. كما أوصيه بمعرفة التاريخ، مثل أجداده العظام، وأخذ العبرة من أحوال الأمم الغابرة، ومعرفة أعراف الناس، والعمل بقانون الدولة العثمانية القديم، والجمع بين اللين والقوة، حسب طبيعة كل عصر.

كما أوصى وزراء الدولة، وأعيان السلطنة، بمعاونة ولى نعمتهم فى هذا

الأمر على قدر طاقتهم. وأوصيهم بدفع أى نزاع بين أهل الإسلام بالرفق واللين، وعدم التهاون فى تطبيق أحكام الله فى الغزو والجهاد.

## الوصية الثانية: إلى الشيوخ الوعاظ :

هذه الوصية عبارة عن عدة آداب للوعظ والنصيحة، فليعمل كل من يسمعها على رعايتها فى مواعظه:

الأدب الأول: لا يجوز للواعظ أن يتكلم بكلام يخالف أعراف الناس، وعاداتهم، واصطلاحاتهم؛ لأن ذلك يكون سبباً للبلبلة والاختلال.

الأدب الثانى: عندما ينشأ بين أهل الإسلام اختلاف، فيجب أن تكون الموعظة مؤلفة للقلوب، ودافعة للفرقة بالرفق، وحسن التعبير، واللباقة فى النصح. كما يجب أن تكون محايدة، ولا تطلق لسانها ضد طرف من الأطراف؛ لأن ذلك يزيد أسباب العداوة.

الأدب الثالث: يجب على الموعظة – بصفة عامة – الابتعاد عن الإفراط والتفريط فى الترغيب والترهيب؛ لحث الناس على الامتثال للأوامر، واجتناب النواهى، والقيام بالواجبات. فنعم الموعظة البليغة الحكيمة، التى تجعل الناس بين خوف ورجاء، وحبذا لو كانت فى جانب الخوف.

الأدب الرابع: يجب مراعاة الزمان والمكان فى الوعظ، وتعليم الناس فضائل الأيام والشهور، ونقل الأخبار الواردة فى عمل اليوم والليلة. ولا بأس فى ذلك من نقل الأحاديث الضعيفة، مع تجنب الأحاديث الموضوعة. ويجب ترغيب الناس فى النوافل والعبادات التى وردت فى شأنها أخبار وروايات، ونهيهم عن الصلوات والعبادات المبنية على العادة.

الأدب الخامس: يجب عدم الخوض فى المباحث الدقيقة التى تتجاوز أفهام العوام، أو عن عالم الجبروت واللاهوت المبنى على اصطلاحات التصوف. فقد قال الإمام الأصفهانى فى "الذريعة"[169] بشأن وعظ الناس بما له صلة بأحوالهم، ونصحهم بأسلوب واضح وسلس:" إن الوعظ للعوام، وليس للخواص، ومن ثم يجب الالتزام بمبدأ "خاطبوا الناس على قدر عقولهم". ذلك لأن عجز أكثر المستمعين عن الفهم، يجعل النفس الناطقة لا تقوى على تحويل المجهول إلى معلوم، فتعرض عنه، ويكون ذلك سبباً فى توجهها إلى الروح الحيوانى. ولهذا السبب ينام أكثر الناس أثناء الوعظ". كما أن الخطبة تكون بالعربية، وأكثر معانيها غائبة عن الناس.

الأدب السادس: الاستعانة بالنوادر والحكايات واللطائف والأشعار المناسبة للموعظة، شريط أن يكون ذلك مثل الملح فى الطعام.

الأدب السابع: لا يجوز الهوس بالمباحث الموجودة بتلك الرسالة، ونقل تفاصيلها؛ طمعاً فى الشهرة، وجذب المستمعين، بل يجب أن تكون الموعظة موقوفة على الحلال والحرام، وما يتعلق بالصلاة والصيام والعقيدة. فالناس تقبل على الواعظ صاحب اللطافة فى التقرير، والطلاوة فى التعبير، أما الواعظ الفقير فى العلم، فيجب عليه ترك الوعظ؛ حتى لا يؤذى الناس.

---

169 – الذريعة إلى مكارم الشريعة: من تأليف الإمام أبى القاسم حسين بن مجمد بن المفضل الراغب الأصفهانى. وهو كتاب على سبعة فصول الأول فى أحوال الإنسان وقواه وفضيلته، والثانى فى العقل والعلم والنطق، والثالث فيما يتعلق بالقوى الشهوية، والرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبية، والخامس فى العدالة والظلم، والسادس فيما يتعلق بالصناعات، والسابع فى ذكر الأفعال. وقيل إن الإمام الغزالى كان يستصحب كتاب الذريعة، ويستحسنه لنفاسته. انظر:– كاتب چلبى: كشف الظنون، ج١، ص٨٢٧.

## الوصية الثالثة: لعامة المسلمين :

أوصى عامة المسلمين بصدق الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والمحافظة على الصلاة، وصوم رمضان. ومن كان غنياً فليخرج الزكاة، ويحج بيت الله. وأوصيهم بعدم البغى على الأعراض والأموال، والتزام الصدق، والسعى للكسب والمعاش. وبحسب المسلم أن يستمع للوعظ يوماً واحداً فى الأسبوع، هو يوم الجمعة، وأن يعمل بما فهم، مع عدم الخوض فى مسائل لا علم له بها.

## الوصية الرابعة: لتلاميذ هذا الفقير خاصة، ولسائر طلاب العلم عامة:

يوصى الفقير فى هذا المقام بما أوصى به القاضى مير، فى خاتمة كتاب "جام كيتى نما" فقال: "يجب على المبتدئين بعد تحصيل المقدمات، ضبط مسائل المتن وفق العقائد الإسلامية، ثم الاشتغال بالعلوم بحسب القانون؛ فيبدأ من الوحدة إلى الكثرة، ولا ينتقل من علم إلى آخر إلا بعد اتقانه. وعلى طالب العلم أن يستمر فى تحصيل ما يناسبه من العلوم، مع تدبير شئون الكسب والمعاش، ما سمح الوقت بذلك. ولا يجب التكالب على المناصب العلمية إلا بعد تمام التحصيل؛ لأن القضاء والفتوى والوعظ والإمامة والخطابة والكتابة، كلها تشغل عن التحصيل. كما أن الاشتغال بالوظيفة بعد التحصيل، يكون سبباً لنسيان دقائق النظريات. والعلة فى ذلك، هو أن شغل الوظيفة يكون بجزئيات العلم، دون مراعاة للقانون والترتيب، وحسب رغبة المدعى والمستفتى".

ولعل هذا ما جعل فاضل الروم "خوجه زاده البروسوى"[170] يقول فى حاشية الشقائق: "إن السيد الشريف استاذى بالواسطة، حصلت منه كل علومى، وقد كفتنى تصانيفه، وتصانيف الشيخ سعد الدين مئونة النظر فى التصانيف الأخرى. لكنى لم أبلغ رتبة استاذى؛ لموانع كثيرة، أولها أنه كان صحيح المزاج، وأنا عليل، وثانيها اعتكاف استاذى طوال عمره على الدرس والتحرير، وأنا اشتغلت بالمناصب، وابتليت بالقضاء والفتوى".

وعليه فإن طالب العلم الصادق، مطالب بالإعراض عن القضاء، وكسب معاشه من مصدر آخر. وعليه التمسك بمذهب أهل السنة، والاعتصام بالكتاب والسنة والإجماع، والإحاطة بأقوال الحكماء والمتكلمين والمتصوفة، وانتقاء الصحيح المفيد منها، عملاً بمقولة "خذ ما صفا ودع ما كدر". مع التحلى بالوسطية، دون إنكار لشىء أو تعصب لشىء، وفق ما نبهنا إليه فى المقدمة.

وهنا ينتهى الكلام، وتبلغ الرسالة خاتمتها. نسأل الله تعالى أن يحسن خاتمتنا أجمعين، وأن يهدينا بفضله وكرمه، طريق البرهان والرضا، آمين.

---

170 – خواجه زاده البروسوى:هو مصلح الدين مصطفى بن يوسف بن صالح البروسوى الرومى الحنفى الشهير بخواجه زاده المدرس بمدرسة السلطانية فى مدينة بروسه، والمفتى بها. توفى سنة ٨٩٣هـ. من تصانيفه: – تهافت الفلاسفة، – حاشية على التلويح للتفتازانى، – حاشية على شرح المواقف، – حاشية على شرح هداية الحكمة، – شرح طوالع الأنوار، – شرح المواقف فى علم الكلام

انظر : – إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص ٤٣٣.

# المصادر والمراجع

## أولاً : فى العربية:

- ا.ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامى، ترجمة محب الدين الخطيب، ومساعد اليافى، المطبعة السلفية، ط ٤، ١٣٩٨هـ.
- ابن الغزى: ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروى حسن، جـ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ١، دار صادر، بيروت.
: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٣، دار صادر، بيروت.
: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٤، دار صادر، بيروت.
- ابن قدامه المقدسى: الكافى فى فقه الإمام ابن حنبل، جـ٣، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٣.
- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، دار الغد، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠.
- أحمد يشار اوجاق: الحياة الفكرية من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، ضمن كتاب"الدولة العثمانية - تاريخ وحضارة" ترجمة د. صالح سعداوى، جـ٢، استانبول ١٩٩٩.
- إسماعيل باشا البغدادى: إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، تحقيق محمد شرف يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسى، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٤٧.
:هدية العارفين - أسماء الكتب والمؤلفين، جـ١، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١
: هدية العارفين - جـ٢، وكالة المعارف الجليلة، استانبول ١٩٥١.
- دائرة المعارف الإسلامية: جـ١، دار المعرفة، بيروت.
: جـ٦، دار المعرفة، بيروت.
: مادة"كاتب چلبى"، جـ٧، دار المعرفة، بيروت.
- السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٢، مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت.
: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٥، مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت.
- الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى [ت٧٦٤]): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق جماعة من الباحثين، جـ٤، دار الكتاب العربى، ط١، بيروت، ١٩٩٨.

- طاشكبرى زاده (ت٩٦٨هـ): الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٥.

: مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، جـ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

: مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، جـ٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.

- عاشق چلبى (ت٩٧٩هـ): ذيل الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، تحقيق د. عبدالرازق بركات، دار الهداية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

- عبدالرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب المصرى، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٩٩.

- عبدالله محمد الحبشى: جامع الشروح والحواشى، ط١، المجمع الثقافى، أبوظبى، ٢٠٠٤.

- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، جـ١، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت.

: معجم المؤلفين، جـ٦، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت.

:معجم المؤلفين، جـ٧، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت.

: معجم المؤلفين، جـ١٣، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت.

- كاتب چلبى: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسى، جـ١، ط٣، ١٩٤٧.

: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسى، جـ٢، ط٣، ١٩٤٧.

- محمد بن أبى بكر المرعشى، المعروف بساجقلى زاده:ترتيب العلوم، دراسة وتحقيق محمد إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية١٩٨٨.

- منق (على بن بالى بن محمد): العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٥.

- موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، إعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جـ١٣، دار الجيل، ٢٠٠٧.

- الموسوعة العربية: جـ٧، ط١، دمشق، ٢٠٠٣.

- نجم الدين الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق د.جبرائيل سليمان جبور، جـ٣، مطبعة المراسلين اللبنانية، بيروت، ١٩٤٩.

- النووى: روضة الطالبين، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ على محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣.

# ثانياً : فى التركية :

## أ : فى التركية العثمانية :

- بروسه لى محمد طاهر :عثمانلى مؤلفلرى، ج١، المطبعة العامرة، استانبول، ١٣٤٢هـ.
: عثمانلى مؤلفلرى، ج٣، المطبعة العامرة، استانبول، ١٣٤٢هـ.
- كاتب چلبى: ميزان الحق فى اختيار الأحق، نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم (٢١ مجاميع تركي).
: ميزان الحق فى اختيار الأحق، مطبعة على رضا أفندي، ١٢٨٦هـ.
: ميزان الحق فى اختيار الأحق، مطبعة أبو الضيا، ١٣٠٦هـ.
- شمس الدين سامى: قاموس تركى، وزارة المعارف التركية، ١٣١٧هـ.

## ب: فى التركية الحديثة :

- Dr.Abdülkadır Altunsu: Osmanlı Şeyhülislamları; Ayyıldız Matbaası, Ankara, 1972.
- Prof.Dr. Enver Ziya karal: Osmanlı Tarihi, V1, T.T.K.B., 4.B.Ankara, 1988.
- Milli Gazete, 24/9/2007.
- Niyazi Berkes: Türkiye'de çağdaşlaşma,Doğu-Batı yayınları,ist.
- Orhan Şaik Gökyay:İslamda Tenkid ve Tartışma usulu- Mizan'l Hak Fi ihtiyar'lAhak,Marifet Yayınları,ist.1.b. 2001.
- Orhan Şaik Gökyay:Katip Çelebi,hayatı ve eserleri hakkında incelemler, Ankara, T.T.K., 1957.
- Orhan Şaik Gökyay: Katip Çelebi, hayatı, Şahsiyeti, Eserleri, İş Bankası yayınevi.
- Türk İslam Ensklöpedisi. C.6.S.432-438. Milli Eğitim Basımevi. ist.1977

## ثالثاً : فى الفارسية :

- بفندر: ميزان الحق، نسخة مخطوطة، أكبر آباد، ١٨٤٩.

## رابعاً: فى الإنجليزية :

- Encyclopaedie Of Islam,1V,New Edittion,LEIDEN,E.J.BRILL,1990,

## خامساً: فى الفرنسية:

- Éncyclopedie de L'Islam,le tome,1V,1978,S.V.

# الفهارس

# ذيل الشقائق النعمانية

# في

# علماء الدولة العثمانية

تأليف

محمد بن علي زين العابدين بن محمد بن جلال الدين بن حسين بن حسن

ابن علي بن محمد الرضوي، المعروف بـ «عاشق جلبي»

المتوفي ٩٧٩هـ - ١٥٧١م

حققه وقدّم له

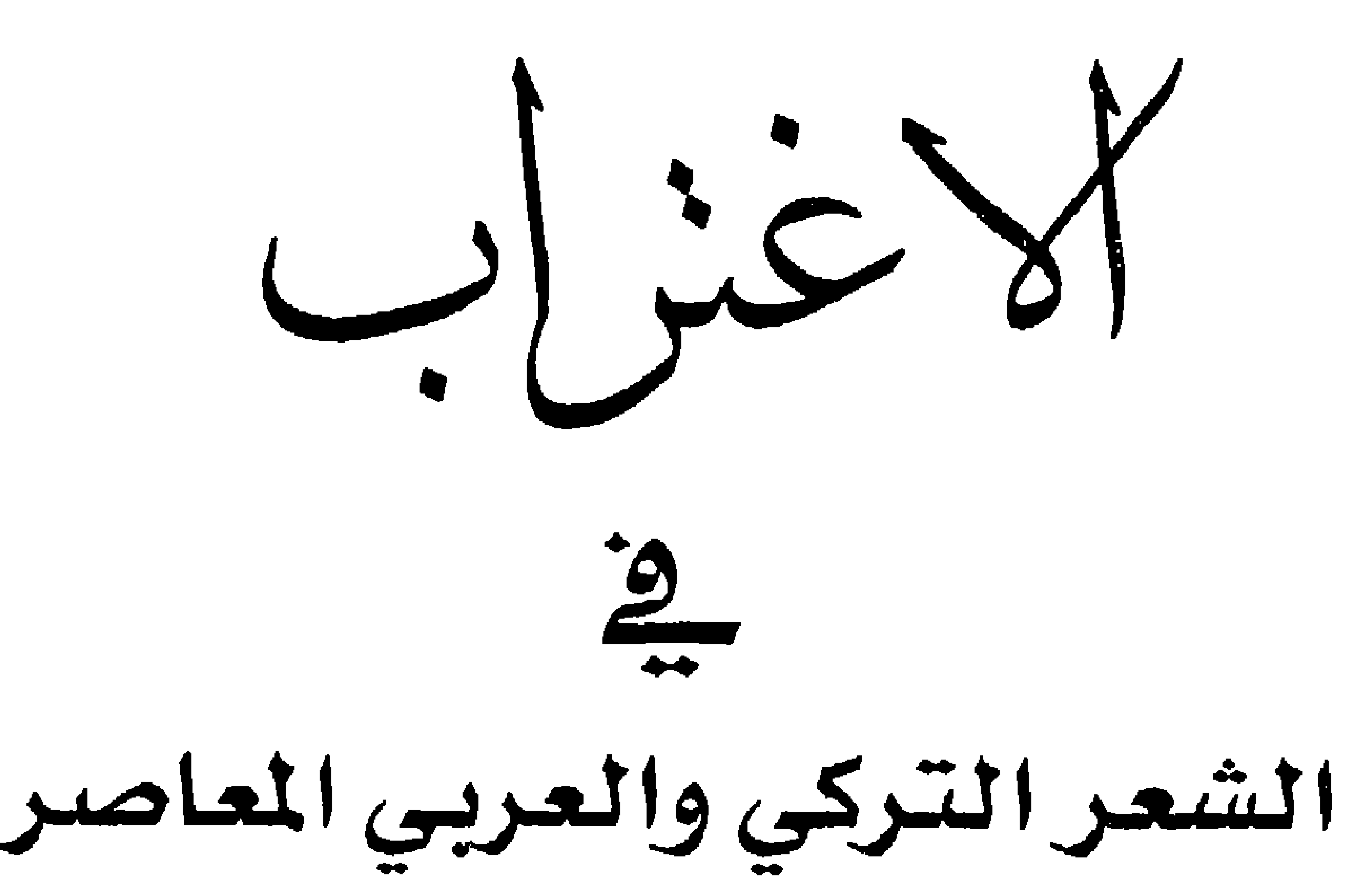
د/ عبد الرازق بركات

كلية الآداب - جامعة عين شمس

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٧٩٥٤٣٧٩ - محمول: ٠١٢٣٢٤٨٧٨٩




# الشعر التركي والعربي المعاصر

الدكتور

**عبد الرازق بركات**

كلية الآداب - جامعة عين شمس

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٧٩٥٤٣٧٩ - محمول: ٠١٢٣٢٤٨٧٨٩

## هذا الكتاب

أقيم ذلك المختصر، على مقدمة، وعدة مباحث. أما المقدمة، فجعله فى بيان أهمية العلوم العقلية؛ ذلك أنه من المعلوم لطلاب الحق، أن ما كان من العلم غير مادى، لايدركه علم البشر، سواء فى الموجود أو المعدوم، يطلق عليه (العلم الإلهى)، وهو علم فروعه كثيرة، والمشتغل به حكيم أو متكلم. وما كان منه محتاجاً إلى مادة غير المادة الموجودة فى الذهن، يطلق عليه (العلم الرياضى)، وله أربعة أصول، هي العدد والهيئة والهندسة والموسيقى، ولكل أصل منها فروع كثيرة. فإن كان محتاجاً إلى مادة مطلقة، سواء فى الخارج أو فى الذهن، يطلق عليه (العلم الطبيعى)، وهو علم فروعه كثيرة. ولاتخرج جملة العلوم العقلية والنظرية عن تلك الأقسام.

وأما البحث فى تلك العلوم، بطريق النظر والفكر، وقانون الاستدلال؛ لعصمة الفكر من الخطأ، فإنهم أطلقوا عليه (علم المنطق) أو علم الميزان. وقد قال ميزان العلوم ومعيارها "السيد الشريف الجرجانى": "لا اعتبار ولا اعتداد بعلم عالم، لا وزن لعلمه ولا معيار" وذلك ما قطع بوجوبه أكثر المحققين، منذ أمد بعيد. وعلم المنطق ليس مطلوباً لذاته، وإنما لأن مقاصده وسيلة للتحصيل.

ولقد استقر بين الطوائف والأمم، من قديم الأزل، أن العلوم الضرورية، والحقيقية، والبرهانية، هى علوم حقائق الأشياء المذكورة. وهناك اتفاق بين مباحث الكتب المنزلة، والعلوم الشرعية، وبين مباحث العلوم المذكورة، فى أكثر المسائل وهناك أيضا اختلاف فى بعض المسائل الأخرى. وتلك أمور يعلمها أهلها.

الناشر

29
65

